التَّنْمِيطُ الْفَخْرِيُّ الْحَمَاسِيُّ بَيْنَ ذَاتِيَّةِ الارْتِقَاءِ وَجَمْعِيَّةِ الانْتِمَاءِ
دَرْسٌ اسْتِقْرَائِيٌّ لِشِعْرِ عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ

د. طـه غالب عبد الرَّحيم طـه
قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها– كلية العلوم والدِّراسات الإسلاميَّة
قلقيلية، فلسطين

التَّنْمِيطُ الْفَخْرِيُّ الْحَمَاسِيُّ بَيْنَ ذَاتِيَّةِ الارْتِقَاءِ وَجَمْعِيَّةِ الانْتِمَاءِ
دَرْسٌ اسْتِقْرَائِيٌّ لِشِعْرِ عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ

د. طـه غالب عبد الرَّحيم طـه

قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها– كلية العلوم والدِّراسات الإسلاميَّة
قلقيلية، فلسطين

تاريخ تقديم البحث: ١/ ١/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٣/ ٧/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

يمضي هذا الدَّرس لتجلية التَّمثُّلات المعنويَّة، والتَّشكُّلات البنيويَّة، لنمطيَّة الفَخْرِ الحَمَاسيّ، بتأطيرَيْها: الذَّاتيّ، والجَمْعيّ، في شعر عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ؛ لغاية استبطان العلائق الشَّبكيَّة، بين اللَّوحات الشِّعريَّة، واستظهار المضامين القيميَّة، في الفَخْريَّات المثاليَّة.

ويُضيء الباحث معالجته بتأسيسٍ تمهيديٍّ؛ في نطاقي: (الْمَفَاهِيمِ اللُّغَوِيَّةِ وَالاصْطِلَاحِيَّةِ)، وَ(مَضَامِينِ الْفَخْرِ وَبَوَاعِثِهِ وَعَلَائِقِهِ وَسِمَاتِهِ، وَأَنْوَاعِ الْفَخْرِ وَنَزَعَاتِهِ وَمَظَاهِرِهِ وَمِثَالِهِ)، كما يُعمِّق المدَارَسة التَّحليليَّة؛ بمُوَاقَعة التَّنْميطِ الفَخْريّ الذَّاتيّ؛ من خلال الْفَخْرِ: (الْفُرُوسِيّ، وَالأَخْلَاقِيّ، وَالشِّعْرِيّ)؛ واستنطاق تنميطاته الجَمْعيَّة؛ في الْفَخْرِ: (الْفُرُوسِيّ، وَالأَخْلَاقِيّ، وَالْحَرْبِيّ)؛ مع استخلاص الفَرَادَات المضمونيَّة، والمؤَسِّسات الأسلوبيَّة، الكائنة في حيثيَّات الشَّواهد الشِّعريَّة.

ويقارب البحث مناهج الدَّرْسِ العِلْميّ؛ بالتَّوصيفِ المفهوميّ العامّ، والاستقراءِ الشِّعريّ التَّامّ، فضلًا عن الاستنباطِ الاستدلاليّ للمباني الشِّعريَّة، في ضوء المنهجيَّة النَّقديَّة التَّكامُليَّة، مع استقطاب الأنظار الثَّقافيَّة، في قراءة العلائق الاجتماعيَّة.

الكلمات المفتاحية: التَّنْمِيط الفَخْرِيّ الحَمَاسِيّ، ذَاتِيَّة الارْتِقَاء، جَمْعِيَّة الانْتِمَاء، عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ.

The enthusiastic profiling of pride between the individual transcendence and collective affiliation An inductive research of Abid ibn al-Abras al-Asadi Poetry

Dr. Taha Ghaleb Abdul Rahim Taha
Department of Arabic Language and Literature - College of Science and Islamic Studies
Qalqilya - Palestine

Abstract:

This research aims at explaining the abstract manifestation and the substantial realizations of the enthusiastic style of pride, through its two forms: the individual and collective, in Abid ibn al-Abras al-Asadi Poetry; to introspect Intertwined relationships between poetry verses and to invoke the valuable meanings from the idealities of pride.

The researcher illuminates their treatment of the subject with an introductory foundation in the domains of (linguistic and idiomatic concepts); and (the implications, motives, relations, and the characteristics of pride, in addition to its types, tendencies, manifestations, etc…). They also deepen the analytical study by examining the enthusiastic profiling of pride; through equestrian, moral, and poetic pride, and exploring its collective style; in equestrian, moral and martial pride. This can be also achieved through extracting the substantive vocabulary and the stylistic foundations; which can be found in the analysis of poetic evidence.

This research draws together the scientific research method, the general conceptual characterization with the complete poetic induction, as well as the inferential extrapolation of poetic formation, in light of the integral critical methodology, with the attracting of cultural perceptions in social relationships.

key words: The enthusiastic profiling of pride, Individual transcendence, Collective affiliation, Abid ibn al-Abras al-Asadi.

– ١: تأسيسٌ تمهيديٌّ: قراءةٌ في المفاهيم والمداخل.

– ١. ١: قراءةٌ في المفاهيم.

– ١. ١. ١: قراءةٌ لغويَّةٌ.

توحي المقاربة اللُّغويَّة للأصل (نمط) بمعنى الاجتماع[١]، كما تزجي تصاريف الأصل دلالات: الضَّرب أو النَّوع من أيِّ شيءٍ، والطَّريقة، والمذهب، والفنِّ[٢]، ويُرسِّخ "التَّنميط" الدَّلالة على الشَّيء المحَدَّد؛ بتمايزه عن غيره[٣]، في الأسلوب أو الصِّنف أو الطِّراز[٤].

(١) يُنظَر: معجم مقاييس اللُّغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زَكريَّاء القزوينيّ الرَّازيّ، (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، تح: عبد السَّلام هارون، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (١٩٧٩م)، مادَّة (نمط).

(٢) يُنظَر: لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدِّين محمَّد بن مكرم بن عليّ بن منظور، (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، دار صادر، بيروت، (ط١)، (د. ت)، مادَّة (نمط)؛ ويُنظَر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد مرتضى الزَّبيديّ، (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تح: عبد العليم الطَّحاويّ، وزارة الإعلام الكويتيَّة، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د. ط)، (١٩٧٤م)، مادَّة (نمط).

(٣) يُنظَر: القاموس المحيط، مجد الدِّين محمَّد بن يعقوب الفيروزآباديّ، (ت٨١٧هـ/ ١٤١٥م)، دار الحديث، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، مادَّة (نمط)؛ ويُنظَر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيديّ، مادَّة (نمط).

(٤) يُنظَر: المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس مع آخرين، (ت١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، دار المعارف، القاهرة، (ط٢)، (١٩٧٢م)، مادَّة (نمط).

بينما يدلُّ الأصل (فخر) "على عِظَمٍ وقِدَمٍ"(١)؛ ومن معانيه: "التَّمدُّح بالخصال، والافتخار، وعدُّ القديم... وادِّعاء العِظَم والكبر والشَّرف... والمِفْخَرَة والمِفْخُرَة، بفتح الخاء وضمِّها: المأْثُرة وما فُخِرَ به"(٢).

ويشي الأصل (حمس) بدلالة "الشِّدَّة؛ فالأَحْمَس: الشُّجاع، والحَمَس والحماسة: الشَّجاعة والشِّدَّة"(٣)، "والأَحْمَس أيضًا: الشَّديد الصُّلب في الدِّين والقتال"(٤)، "والحماسة: المَنْع والمحاربة"(٥)، "والحُمْسة، بالضَّمّ: الحُرْمة... والحَمْس: الصَّوت، وجَرْس الرِّجال... واحْمَوْمَسَ: غضب"(٦).

وهكذا؛ تُقدِّم الأصول اللُّغويَّة، معًا، دلالة الطِّراز الفنِّيّ المتَفرِّد عن غيره، ضمن الفخر المعتلق بالخصال الحميدة، كما تنضاف إليها حماسة الشَّجاعة والصَّلابة والشِّدَّة والقُوَّة، اللَّاحقة بعزائم الرِّجال، في ميادين القتال والفروسيَّة.

---

(١) معجم مقاييس اللُّغة، ابن فارس، مادَّة (فخر).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادَّة (فخر)؛ ويُنظَر: القاموس المحيط، الفيروزآباديّ، مادَّة (فخر)؛ ويُنظَر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيديّ، مادَّة (فخر).

(٣) معجم مقاييس اللُّغة، ابن فارس، مادَّة (حمس).

(٤) الصِّحاح؛ تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، لأبي نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ، (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)، تح: محمَّد زكريَّا يوسف، دار العلم للملايين، بيروت، (ط٤)، (١٩٩٠م)، مادَّة (حمس).

(٥) لسان العرب، ابن منظور، مادَّة (حمس).

(٦) القاموس المحيط، الفيروزآباديّ، مادَّة (حمس)؛ ويُنظَر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيديّ، مادَّة (حمس).

- ١. ١. ٢: قراءةٌ اصطلاحيَّةٌ.

يمكننا أن نُعرِّف "النَّمط" أو "الشَّكل الدَّالَّ"؛ على أنَّه: "المثال أو النَّموذج الشَّكليُّ الَّذي يَمْثُلُ في ذهن الفنَّان أو الأديب، ويحتذيه في التَّأليف. ومن جهةٍ أخرى يمكن اعتباره الشَّكل الإجماليّ الَّذي يستنبطه القارئ أو المستمع أو المشاهد للأثر الَّذي يُقدَّم إليه. وكثيرًا ما يُخلَط بين البنية والشَّكل النَّمطيِّ للأثر الأدبيّ أو الفنّيّ؛ فلكُلِّ أثرٍ أدبيّ بنيةٌ خاصَّةٌ به؛ أمَّا الشَّكل النَّمطيُّ فهو مُخَطَّطٌ عامٌّ يتَّفق في التزامه أو محاكاته عددٌ كبيرٌ من الآثار الفنّيَّة أو الأدبيَّة"(١).

وعرَّف ابن رشيقٍ (ت٤٥٦هـ) "الافتخار"، قائلًا: "والافتخار: هو المدح نفسه، إلَّا أنَّ الشَّاعر يخصُّ به نفسه وقومه، وكلُّ ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكلُّ ما قبح فيه قبح في الافتخار"(٢)؛ وعليه يوحي ابن

---

(١) معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، (ط٢)، (١٩٨٤م)، ص٤٢٠، (- باب النُّون/ - النَّمط، الشَّكل الدَّالّ، [Pattern])؛ ويُنظَر: معجم المصطلحات الأدبيَّة المعاصرة؛ (عرض وتقديم وترجمة)، د. سعيد علُّوش، دار الكتاب اللُّبنانيّ، بيروت، وسوشبريس، الدَّار البيضاء، (ط١)، (١٩٨٥م)، ص٢٢١، ٢٢٢، (٦٦٩ – النَّمط/ ٦٧٠ – النَّمط)؛ ويُنظَر: المعجم المفَصَّل في الأدب، د. محمَّد التُّونجيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (ط٢)، (١٩٩٩م)، ٢: ٨٦٧، (- حرف النُّون/ - النَّمط، النَّموذج).

(٢) العُمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده، لأبي عليّ الحسن بن رشيق القيروانيّ، (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، تح: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، دار الجيل للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، بيروت، (ط٥)، (١٩٨١م)، ٢: ١٤٣، (- باب في أغراض الشِّعر وصنوفه/ - باب الافتخار).

رشيقٍ بالارتباط الوثيق بين "الفخر" و"المدح"؛ من جهتي: المضامين، والسِّمات.

أمَّا "الفخر" في ثيماته العامَّة؛ فهو "تمدُّح المرء بخصال نفسه وقومه، والتَّحدُّث بحسن بلائهم ومكارمهم، وكرم عنصرهم، ووفرة قبيلهم، ورفعة حسبهم ونسبهم، وشهرة شجاعتهم"(١)، وهو "بابٌ من أبواب الشِّعر الغنائيِّ(٢)، اشتهر به العرب منذ الجاهليَّة؛ فغالَوْا فيه، واتَّخذوه مُتَنفَّسًا لهم في تعداد فضائلهم، والإبانة عمَّا تميَّزوا به من رفعةٍ"(٣).

ويتبدَّى "الفخر"، في الاصطلاح النَّقديِّ؛ بوصفه غرضًا شعريًّا؛ "ينطوي على زهو الشَّاعر واعتزازه بنفسه وقومه؛ وهو وليد الأَثَرة والإعجاب بالذَّات. وإذا كان الإنسان مفطورًا على حبِّ نفسه والإدلال بها وبمآثرها؛ فالشَّاعر

---

(١) الوسيط في الأدب العربيِّ وتاريخه، الشَّيخ أحمد الإسكندريّ، (ت١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، الشَّيخ مصطفى العنابيّ، (ت١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م)، حقوق الطَّبع محفوظة للمُؤَلِّفَيْن، القاهرة، (ط١)، (١٩١٩م)، ص٣٩، (– النَّظم؛ الشِّعر والشُّعراء/ – الشِّعر/ ١ – أغراضه وفنونه في الجاهليَّة/ – الفخر).

(٢) في علاقة الفخر بالشِّعر الغنائيِّ؛ يُنظَر: تاريخ الأدب العربيِّ، أحمد حسن الزَّيَّات، (ت١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، دار نهضة مصر للطَّبع والنَّشر، القاهرة، (ط٢)، (١٩٨١م)، ص٣٠ – ٣٢، (– الباب الأوَّل: العصر الجاهليّ/ – الفصل الثَّالث: الشِّعر/ – أنواع الشِّعر وأغراضه)؛ ويُنظَر: المعجم الأدبيّ، نوَّاف نصَّار، دار ورد للنَّشر والتَّوزيع، عمَّان، (ط١)، (٢٠٠٧م)، ص١٥٠، (– ف/ – فخر [شعر]).

(٣) المعجم الأدبيّ، جَبُّور عبد النُّور، دار العلم للملايين، بيروت، (ط٢)، (كانون الثَّاني، يناير/ ١٩٨٤م)، ١: ١٨٩، (القسم الأوَّل: مصطلحات/ – ف/ – فخر).

المَتَميّز برهافة الحسّ، وفصاحة اللِّسان، وجمال التَّعبير والتَّصوير؛ أقدر من سواه على التَّفاخر، وأجدر به"[١].

وننتهي ممَّا سبق؛ إلى أنَّ "الفخر": "ضربٌ من الحماسة؛ وهو التَّغنّي بالفضائل والمُثُل العليا، والتَّباهي بالسَّجايا النَّفسيَّة والصِّفات القوميَّة، والزَّهو بالفعال الطَّيِّبة، وألذُّ أحاديث المرء عنده هو حديثه عن نفسه وخصاله وفعاله؛ من: الشَّجاعة، والكرم، والمروءة، وحماية الجار، وطيب المنبت، وعراقة الأصل، وكثرة المال والولد، إلى غير ذلك، ممَّا يزهو به الإنسان، ويختال به على غيره"[٢].

وتتجلَّى "الحماسة"؛ في كونها "من أبواب الشِّعر العربيّ وموضوعاته؛ وفيها الإشادة بالأمجاد والانتصارات في الحروب، والحقد البالغ على الخصوم، والتَّغنّي بالمُثُل الرَّفيعة؛ من: كرمٍ، ووفاءٍ، وغير ذلك"[٣]، وهي من الأبواب "الَّتي يفتخرون بها؛ لأنَّهم يذكرون فيها أمجادهم وشمائلهم وحروبهم"[٤].

---

(١) الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، د. غازي طليمات، أ. عرفان الأشقر، مكتبة الإيمان، دمشق، ومكتبة دار الإرشاد، حمص، (ط١)، (شباط/ ١٩٩٢م)، ص١٣٥، (– الباب الثَّالث: موضوعات الشِّعر الجاهليّ/ – الفصل الثَّالث: الفخر والحماسة/ أ – الفخر والحماسة لغةً واصطلاحًا).

(٢) الشِّعر الجاهليّ؛ خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوريّ، مُؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، (ط٥)، (١٩٨٦م)، ص٣٠٠، ٣٠١، (– الباب الثَّاني: الشِّعر الجاهليّ/ – الفصل الثَّالث: فنون الشِّعر الجاهليّ/ – الحماسة/ – الفخر).

(٣) معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب، وهبة والمهندس، ص١٥٣، (– باب الحاء/ – الحماسة).

(٤) المعجم المفَصَّل في الأدب، التُّونجيّ، ١: ٣٨١، (– حرف الحاء/ – الحماسة).

و"الشِّعر الحماسيُّ" على ذلك: "هو الشِّعر الَّذي غرضه الأساسيُّ وصف البطولة، والوقائع الحربيَّة، وإلهاب المشاعر في الإقدام والشَّجاعة، كما أنَّ وصف المعارك والفرسان، وهزيمة الأعداء، من أغراض شعر الحماسة"(١).

ولشموليَّة المفهوم أن تُعمِّق الحيثيَّات القتاليَّة، في هذا الضَّرب الشِّعريّ؛ فهو "فنُّ الحرب والقتال والشَّجاعة، والتَّغنِّي بصفات: البطولة، والرُّجولة، وركوب المخاطر، وخوض غمرات القتال، ووصف ما في الحرب؛ من: كرٍّ، وفرٍّ، وعددٍ، وسلاحٍ، ودماءٍ، وجرحى، وقتلى، ودعوةٍ للحرب، وأخذٍ بالثَّأر، وما إلى ذلك؛ فهو، بجملته، فنُّ البطولة"(٢)، وقد "كان الشَّاعر العربيُّ القديم لسان قومه في تسجيل مآثرهم، والدِّفاع عنهم، ونشر محامدهم"(٣).

---

(١) المعجم المفصَّل في الأدب، التُّونجيّ، ٢: ٥٥٥، (- حرف الشِّين/ - الشِّعر الحماسيّ).

(٢) الشِّعر الجاهليّ؛ خصائصه وفنونه، الجبوريّ، ص٢٩٣، (- الباب الثَّاني: الشِّعر الجاهليّ/ - الفصل الثَّالث: فنون الشِّعر الجاهليّ/ - الحماسة).

٣() المصطلح النَّقديّ في التُّراث الأدبيّ العربيّ، محمَّد عزَّام، دار الشَّرق العربيّ، بيروت وحلب، (ط١)، (د. ت)، ص١٤٩، (- حرف الحاء/ - الحماسة)؛ وحول مفهومي: الفخر، والحماسة، والعلاقة بينهما؛ يُنظَر: شعر الفخر والحماسة في صدر الإسلام؛ دراسة نقديَّة تحليليَّة، عندليب يوسف اسمندر، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: أ. د. سمر الدّيوب، جامعة البعث، حمص، (٢٠١٠/ ٢٠١١م)، ص٧ – ٢٢، (- التَّمهيد).

– ١. ٢: قراءةٌ في المداخل الفخريَّة.

– ١. ٢. ١: مضامين الفخر وبواعثه وعلائقه وسماته.

لم يكن هذا اللَّون الشِّعريُّ "شعر قُوَّةٍ وبطولةٍ فحسب؛ فقد تغنَّوْا فيه بكريم الشِّيم، وكُلِّ ما اتَّخذوه مثلًا رفيعًا لهم في حياتهم وسلوكهم؛ من: كرمٍ ووفاءٍ، وغير كرمٍ ووفاءٍ؛ فعلى نحو ما صوَّروا فيه بطولةً وشجاعةً نادرةً، صوَّروا كثيرًا من الفضائل الحميدة"(١)، كما صوَّروا فيه أسلحتهم، وأطالوا في وصف الخيل الَّتي ركبوها في اللِّقاء، مع ذكر ألقابها(٢).

ويُعَدُّ "الفخر الحماسيُّ" "من الموضوعات المتداخلة؛ فكثيرٌ من معاني الفخر تقع في باب الحماسة، وكذلك يصعب الفصل بين الصُّور المختلفة للفخر والحماسة؛ ومن هذا المنطلق لم يفرد أبو تمَّام (ت٢٣١هـ) بابًا للفخر ولا ضمَّه إلى غيره؛ وإنَّما تحدَّث عنه في باب الحماسة الَّذي سمَّى مختاراته باسمه"(٣).

---

(١) تاريخ الأدب العربيّ؛ العصر الجاهليّ، د. أحمد شوقي عبد السَّلام ضيف، (ت١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، دار المعارف، القاهرة، (ط١١)، (١٩٨٦م)، ص٢٠٦، (– الفصل السَّادس: خصائص الشِّعر الجاهليّ/ ٣ – الموضوعات).

(٢) يُنظَر: تاريخ الأدب العربيّ؛ العصر الجاهليّ، شوقي ضيف، ص٢٠٥، ٢٠٦.

(٣) الأدب الجاهليّ، د. سامي يوسف أبو زيد، د. منذر ذيب كفافيّ، دار المسيرة للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، عمَّان، (ط١)، (٢٠١١م)، ص٨٩، (– الفصل الثَّالث: موضوعات الشِّعر الجاهليّ/ – المبحث الثَّاني: الفخر والحماسة).

وعلى الرَّغم من الالتئام الفكريّ العامّ بين "الفخر" و"الحماسة"؛ إلَّا أنَّه يمكن تأطيرهما وفق المضامين الثَّانويَّة؛ حين "يُقصَد بالحماسة: الشَّجاعة الحربيَّة، الَّتي تتجلَّى في ميادين القتال؛ من: ضربٍ بالسَّيف، وطعنٍ بالرُّمح، وإقدامٍ على المخاطر، وركوب الأهوال؛ ويُقصَد بالفخر: ما له صلةٌ بالقبيلة؛ من: فخرٍ بأمجادها، وذكرٍ لأيَّامها، ودفاعٍ عنها، وهجاءٍ لخصومها، وثأرٍ لقتلاها؛ وما له صلةٌ بالفرد؛ من: فروسيَّةٍ، وصعلكةٍ، وكرمٍ، وشجاعةٍ، ونسبٍ، وشرفٍ، وسيادةٍ، وتعقُّلٍ، وحَمِيَّةٍ، وجهلٍ، وأناةٍ. وقد كانت حياة القبائل، وما بينها من تنافسٍ في طلب المرعى والماء، وعداءٍ وحروبٍ تدوم أيَّامًا وأعوامًا؛ أسبابًا دعت إلى نشوء هذا الغرض، الَّذي احتلَّ المكان الأوَّل في ديوان الحماسة لأبي تمَّام"[1].

(١) العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، د. محمَّد صبري الأشتر، مديريَّة الكتب والمطبوعات الجامعيَّة، جامعة حلب، حلب، (د. ط)، (١٩٩٤/ ١٩٩٥م)، ص٣٧٧؛ ولمطالعة التئام الفخر بالحماسة، في الشِّعر الجاهليّ؛ يُنظَر: العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، الأشتر، ص٣٧٧ – ٤٢٣، (– الفصل الرَّابع: موضوعات المعَلَّقات وأساليب القول فيها/ ٦ – الفخر والحماسة)؛ ويُنظَر أيضًا: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرَّافعيّ، (ت١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)، مكتبة الإيمان، المنصورة، (ط١)، (١٩٩٧م)، ٢: ٩٢، ٩٣، (– الباب الخامس: تاريخ الشِّعر العربيّ ومذاهبه/ – الفخر والحماسة).

وتمثَّلت بواعث شعر "الفخر"، عند الجاهليّين؛ في نظام مجتمع القبيلة؛ القائم على تقدير الدُّستور الأخلاقيّ المثاليّ[١]، فضلًا عن تحدِّي ظروف الصَّحراء القاسية؛ بتمثُّل القيم الأخلاقيَّة والفروسيَّة[٢]، وملاحم أيَّام العرب وما صاحبها من منافراتٍ ومفاخراتٍ[٣]، كما أسهمت البطولة في انتشار "الفخر"، على نحوٍ واضحٍ[٤]؛ مع علاقتها بمعاني: الشَّباب، والكرم، والنَّجدة، والاستمتاع بملذَّات الحياة[٥].

(١) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٥، ١٣٦، (– الباب الثَّالث: موضوعات الشِّعر الجاهليّ/ – الفصل الثَّالث: الفخر والحماسة/ ب – طبيعة الفخر وعوامل ازدهاره في العصر الجاهليّ).

(٢) يُنظَر: الأدب الجاهليّ، أبو زيد وكفافيّ، ص٩١؛ ولاستبطان أثر الصَّحراء، في شيوع شعر الفخر؛ يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضايا، وفنون، ونصوص، أ. د. حسني عبد الجليل يوسف، مُؤسَّسة المختار للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، (ط١)، (٢٠٠١م)، ص٧٩، (– قسم الشِّعر/ – الباب الأوَّل: الشَّاعر والمجتمع الجاهليّ/– رابعًا: الفخر)؛ ويُنظَر: الفخر في الشِّعر العربيّ، سراج الدِّين محمَّد، دار الرَّائد الجامعيَّة، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ص٦، (– في العصر الجاهليّ).

(٣) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٦.

(٤) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٧.

(٥) يُنظَر: العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، الأشتر، ص٤١٠.

واعتلق "الفخر" بالأغراض الشِّعريَّة الأخرى؛ ذلك أنَّ له صلةً وثيقةً بِـ"الفروسيَّة"، في باب ترسيخ قيمة الرُّجولة الحقَّة[١]، كما ارتبط بِـ"الغزل" في علاقة حبِّ البقاء بحبِّ المرأة[٢]، ثمَّ إنَّ له علاقةً قويَّةً بِـ"الهجاء"، في سياق "الفخريَّات الحماسيَّة"[٣]؛ فحين نقف عليها في "المفضَّليَّات" و"الأصمعيَّات"؛ فإنَّنا سنستظهر العلاقة الوثيقة بينها وبين "الهجاء" المغَلَّف بالتَّهديد[٤]، بحضور المثُل الأخلاقيَّة وأضدادها[٥]، كما يتَّضح أثر "الفخر الحماسيِّ"، في الأغراض الأخرى؛ كالمدح، ووصف الحرب، والرِّثاء[٦].

---

(١) يُنظَر: الفروسيَّة في الشِّعر الجاهليِّ، د. نوري حمُّودي القيسيّ، دار التَّضامن، بغداد، (ط١)، (١٩٦٤م)، ص٢٣٩، (– الباب الثَّاني: شعر الفروسيَّة/ – الفصل الثَّالث: موضوعات شعر الفروسيَّة/ – الفخر والحماسة).

(٢) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٦.

(٣) يُنظَر: تاريخ الأدب العربيِّ؛ العصر الجاهليّ، شوقي ضيف، ص٢٠٢؛ ولاستظهار "المثاليَّة العربيَّة"، وتمثُّلها الإيجابيِّ في حالة "المدح"، وتوظيفها السَّلبيِّ في غرض "الهجاء"؛ يُنظَر: عيار الشِّعر، لأبي الحسن محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم طَبَاطَبَا العلويّ، (ت٣٢٢هـ/ ٩٣٤م)، تح: عبَّاس عبد السَّاتر، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (ط٢)، (٢٠٠٥م)، ص١٨، ١٩، (– المثُل الأخلاقيَّة عند العرب وبناء المدح والهجاء عليها).

(٤) يُنظَر: تاريخ الأدب العربيِّ؛ العصر الجاهليّ، شوقي ضيف، ص٢٠٢، ٢٠٣.

(٥) يُنظَر: الشِّعر الجاهليّ؛ منهج في دراسته وتقويمه، د. محمَّد النُّويهيّ، (ت١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، الدَّار القوميَّة للطِّباعة والنَّشر، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ١: ٢٢٢؛ وللاطِّلاع على المضامين الفخريَّة الجاهليَّة؛ يُنظَر: الشِّعر الجاهليّ؛ منهج في دراسته وتقويمه، النُّويهيّ، ١: ٢٠٩ – ٢٥٤، (– الفصل السَّادس: القيم الاجتماعيَّة؛ الفخر القبليّ).

(٦) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٦.

ويمكن إجمال سمات "الفخر": العاطفيَّة، والمضمونيَّة، والنَّفسيَّة، والفنِّيَّة؛ في صِدْقيَّة العاطفة؛ بفعل عمق التَّجربة المصَوَّرة(١)، وامتزاج الذَّات المتَضخِّمة بكيان القبيلة(٢)، ومخالطته مضامين الأغراض الأخرى، مع براعة التَّنقُّل بينها؛ ممَّا عزَّز أواصر القصيدة الجاهليَّة، فضلًا عن تفلُّته من رقابة المنطق والعقل، وانطلاقه صوب آفاقٍ لا تحدُّ من المبالغات، والتقائه بالمدح في صياغة المثل الأعلى للإنسان العربيّ الجاهليّ، ووقوفه على أحداثٍ كثيرةٍ خطيرةٍ في العصر الجاهليّ، وعلى أسماء الأبطال الَّذين صنعوا هذه الأحداث(٣).

أمَّا من النَّاحية النَّفسيَّة؛ فيرتبط "الفخر" بقمَّة التَّوتُّر العاطفيّ؛ ففيه ينظر الشَّاعر إلى نفسه وقبيلته بمرآةٍ مُقعَّرةٍ؛ فيراهما كبيرتين مزهوَّتين من صنف العمالقة(٤). ويتميَّز "الفخر"، من النَّاحية الفنِّيَّة، بالصُّور الحيَّة المتَحرِّكة، وبالألوان الحادَّة النَّاطقة، وبالبراعة في وصف الحرب والخيل والأسلحة، وباللَّوحات المصَوَّرة الَّتي يطغى عليها لون الدَّم، وبريق الدُّروع، ولمعان السُّيوف، وسواد الغبار الثَّائر؛ ممَّا يتطلَّب إيقاعًا لفظيًّا قويًّا، مُتَردِّد الصَّدى، شديد الجَرْس، مُتَدفِّق النَّبرة(٥).

---

(١) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٦.

(٢) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٧.

(٣) الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٥٦، ١٥٧، (– الباب الثَّالث: موضوعات الشِّعر الجاهليّ/ – الفصل الثَّالث: الفخر والحماسة/ هـ – خصائص الفخر)، (بتصرُّف).

(٤) الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٥٧، (بتصرُّف).

(٥) الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٥٧، ١٥٨، (بتصرُّف).

– ١. ٢. ٢: أنواع الفخر ونزعاته ومظاهره ومثاله.

يمكننا تقسيم "الفخر الجاهليّ" إلى: "فخرٍ فرديٍّ، وفخرٍ قبليٍّ؛ أمَّا الفخر الفرديُّ فمبعثه إعجاب الشَّاعر بنفسه، وادِّعاؤه تفوُّقه على مَن حوله، وقدرته على تهديد النَّاس بسلاحٍ لا يملكون مثله؛ يرفع به ويضع، ويعد ويتوعَّد"(١)؛ وهو، على ذلك، يشمل "ما يقوله الشَّاعر فخرًا بنفسه؛ من: عفَّةٍ، وكرمٍ، وبسالةٍ، وشجاعةٍ، ونسبٍ، وقد يفخر الشَّاعر بشعره وتفوُّقه فيه"(٢).

ويفخر كثيرٌ من الشُّعراء، في إطار "الفخر الذَّاتيّ"؛ "بقُوَّتهم وشجاعتهم وبسالتهم، في مواجهة الأعداء؛ وربَّما كان للبيئة الصَّحراويَّة القاسية تأثيرٌ في دفع الشَّاعر الجاهليّ إلى الفخر بذاته وقُوَّته؛ ليكون ردَّ فعلٍ لتلك الحياة الصَّعبة"(٣).

---

(١) الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٧؛ ولاستجلاء "المفاخر الفرديَّة"؛ يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٧ – ١٤٧، (– الباب الثَّالث: موضوعات الشِّعر الجاهليّ/ – الفصل الثَّالث: الفخر والحماسة/ ج – الفخر الفرديّ وأهمّ معانيه وصوره: ١ – الشِّعر والفصاحة. ٢ – صلة الخمر بالفخر. ٣ – الأنفة. ٤ – الكرم. ٥ – الشَّجاعة. ٦ – الفخر بمكارم الأخلاق).

(٢) المعجم الأدبيّ، نصَّار، ص١٥٠، (– ف/ – فخر [شعر]).

(٣) الأدب الجاهليّ، أبو زيد وكفافيّ، ص٨٩.

ويُقال "الفخر الجمعيُّ"؛ "افتخارًا بالقبيلة وتاريخها وأمجادها، وما يتحلَّى به رجالها؛ من: المآثر... والعراقة، والسُّرعة، إلى النَّجدة... والكرم، والجاه، وحسن الجوار"[(١)]؛ ممَّا يوحي بترسيخ الأطر الأساسيَّة في نطاق الاهتمام الجاهليِّ؛ ممثَّلةً في: التَّاريخ، والأمجاد، والفضائل.

وإذا ما وقفنا عند مظاهر شعر "الفخر"؛ ألفينا أظهرها ماثلًا في ارتباط الفرد بالقبيلة، ضمن أهدافها ومطامحها وتحدِّياتها[(٢)]؛ ليحضر الإطار القبليُّ في "الفخر"؛ لإنشاده في ظلِّ القبيلة[(٣)]، ولهذا الانتماء القبليِّ؛ أن يظهر في

---

(١) المعجم الأدبيّ، نصَّار، ص١٥٠، (– ف/ – فخر [شعر]).

(٢) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٤٧، ١٤٨؛ ولمعاينة "المفاخر الجمعيَّة"؛ يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٤٧ – ١٥٦، (– الباب الثَّالث: موضوعات الشِّعر الجاهليِّ/ – الفصل الثَّالث: الفخر والحماسة/ د – الفخر القبليّ وأهمّ معانيه وصوره: ١ – القتال قبل السُّؤال. ٢ – النَّفرة الدَّائمة إلى الحرب والأخذ بالثَّأر. ٣ – السَّطوة على الملوك. ٤ – الأنساب والأمجاد. ٥ – السِّيادة وكثرة العدد والعتاد. ٦ – الفخر بمكارم الأخلاق).

(٣) يُنظَر: الجامع في تاريخ الأدب العربيِّ؛ الأدب القديم، حنَّا الفاخوريّ، (ت٢٠١١م)، دار الجيل للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، بيروت، (ط١)، (١٩٨٦م)، ص١٦٦، (– الأدب العربيّ القديم: الأدب الجاهليّ/ – الباب الرَّابع: الشِّعر الجاهليّ/ – الفصل الثَّاني: أقسام الشِّعر الجاهليِّ/ ب – شعر الحياة والمناقب القبليَّة)؛ ولاستطلاع الدَّوافع: الاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والسِّياسيَّة، والنَّفسيَّة، للفخر القبليِّ؛ يُنظَر: شعر الفخر عند الشُّعراء الفرسان في العصر الجاهليِّ؛ دراسة تحليليَّة، حنان أحمد جاد الله الحتاملة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: د. إبراهيم السّنجلاويّ، جامعة اليرموك، إربد، (١٩٩٤م)، ص٣٧ – ١٠٢، (– الفصل الثَّالث: دوافع

تقاطع المضامين الفخريَّة: الذَّاتيَّة، والجمعيَّة[1]؛ إذ كان الشَّاعر الجاهليُّ يقوم بذلك في إطار ولائه للقبيلة[2].

ونصل، من ذلك، إلى نتيجةٍ راسخةٍ؛ مفادها: أنَّ "المطَّلِع على الشِّعر الجاهليِّ؛ سيجد أنَّ شعر الفخر، بشكلٍ عامٍّ، كان مرتبطًا، إلى حدٍّ بعيدٍ، بالقبيلة وسادتها وفرسانها وأفرادها؛ فهو ليس فخرًا ذاتيًّا أو فرديًّا؛ لأنَّ شخصيَّة الفرد ما هي إلَّا شخصيَّة القبيلة نفسها، وما يُحقِّقه الفرد من إنجازٍ شخصيٍّ، على صعيد المزايا والصِّفات والانتصارات؛ فإنَّما هو تحقيقٌ لكلِّ أفراد القبيلة، الَّتي كان الولاء الأوَّل لها، والجهد الأكبر ينصبُّ على خدمتها

شعر الفخر القبليِّ ومعانيه وقيمه العامَّة)؛ وللتَّعرُّف إلى أسباب الفخر، وأقسامه، وموضوعاته؛ يُنظَر: الفخر في الشِّعر الجاهليِّ؛ "الفخر بين عنترة بن شدَّاد وعمرو بن كلثوم"؛ دراسة موازنة، نوال حدو، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: أ. د. رضوان النَّجَّار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (٢٠١٠/ ٢٠١١م)، ص٦ – ٢٤، (– الفصل الأوَّل: الفخر في الشِّعر الجاهليِّ).

(١) يُنظَر: المعجم الأدبيّ، عبد النُّور، ١: ١٨٩، (– ف/ – فخر)؛ وللوقوف على تعالق النَّزعتين: الذَّاتيَّة، والقبليَّة، في الفخر؛ يُنظَر: شعر الفخر عند الشُّعراء الفرسان في العصر الجاهليِّ؛ دراسة تحليليَّة، الحتاملة، ص١٠٣ – ١٦٨، (– الفصل الرَّابع: المراوحة بين النَّزعة الذَّاتيَّة والنَّزعة القبليَّة في شعر الفخر).

(٢) يُنظَر: الفرد والجماعة في الشِّعر الجاهليِّ، د. عبد المجيد زَراقط، مجلَّة الفكر العربيّ، معهد الإنماء العربيّ، بيروت، لبنان، (ع: ٥٤)، (كانون الأوَّل، ديسمبر/ ١٩٨٨م)، ص٧٠، (– مهمَّة قبليَّة: ولاء مطلق للجماعة).

وإعلاء شأنها، وعَبِيد بن الأَبْرَص، في شعره، لم يكن بعيدًا عن ذلك الإطار؛ فهو شاعر القبيلة الَّتي يعيش لها، ويدافع عنها، ويهب نفسه فداءً لها؛ فقد استأثرت القبيلة منه بالاهتمام الكبير، وقلَّما تقرأ قصيدةً أو مقطوعةً إلَّا وللقبيلة وأفرادها ذكرٌ يُمجِّد المحاسن والفضائل، ويذبُّ عن الأهل والحرمات"(١).

ولعلائق "الفخر" بالنَّزعتين: الفرديَّة، والقبليَّة، أهمِّيَّةٌ بالغةٌ في فهم الصُّورة الشِّعريَّة الإجماليَّة؛ السَّاعية إلى تكريس المثال في الذَّات المؤطَّرة بانتماء الجماعة؛ "فالنَّزعة القبليَّة تعني تمسُّك العربيّ بنسب قبيلته تمسُّكًا شديدًا، وخضوعه التَّامَّ لشريعة القبيلة"(٢)؛ وفق مبدأ التَّعصُّب الشَّديد لها، والالتحام الوجوديّ بها(٣)؛ وعليه انبنى معيار التَّمايز بين الولاء والتَّمرُّد(٤).

---

(١) الصُّورة الفنِّيَّة في شعر عَبِيد بن الأَبْرَص، عامر سمار الرّشيديّ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: أ. د. خليل الرّفوع، جامعة مؤتة، الكرك، (٢٠١٠م)، ص٢٦، (- الفصل الثَّاني: أغراض الصُّورة الفنِّيَّة عند عَبِيد بن الأَبْرَص/ ٢. ١. موضوعات الصُّورة/ ٢. ١. ١. الفخر).

(٢) الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، د. عبد الغنيّ أحمد زيتونيّ، مركز زايد للتُّراث والتَّاريخ، العين، (ط١)، (٢٠٠١م)، ص٥١.

(٣) يُنظَر: الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص٥١؛ ولتَبيُّن حيثيَّات "النَّزعة العصبيَّة"، في الشِّعر الجاهليّ؛ يُنظَر: الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص٥١ – ٨٣، (- الباب الأوَّل: العلاقات الاجتماعيَّة/ - الفصل الثَّاني: النَّزعة العصبيَّة).

(٤) يُنظَر: الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص١١٣، ١١٤، (- الباب الأوَّل: العلاقات الاجتماعيَّة/ - الفصل الثَّالث: النَّزعة الفرديَّة/ ٣ – الموقف من الأفراد/ - ثالثًا: الخصم)؛

وممَّا يسترعي الانتباه، تأصيل "الفخريَّات الجاهليَّة"، لمظاهر "الفروسيَّة" المختلفة؛ "أمَّا الفروسيَّة فهي صورةٌ ممتازةٌ من صور الفُتُوَّة؛ وقد دعت إليها حياة العرب في الصَّحراء، ونظامهم القبليُّ، وتنوَّعت مظاهر الفروسيَّة؛ فمن فروسيَّة الصَّعاليك الَّتي تجلَّت في المخاطرة والمغامرة، إلى فروسيَّة الفرسان من سادات القبائل وأبطالها؛ وقد ارتبطت هذه الفروسيَّة بمعنى السِّيادة والشَّرف والنُّبل، وتجلَّت في ساح القتال"(١)، و"تمثَّلت الفروسيَّة بجانبيها: الحربيِّ، والخُلُقيِّ، في الشُّعراء الفرسان؛ الَّذين تغنَّوْا بصفاتهم ومُثُلهم العليا، ورفعوا البطولة إلى مقامٍ كريمٍ، وبذلوا النَّفس في سبيلها"(٢).

وللفارس أن ينماز، في وحي السَّابق، "بصفاتٍ خاصَّةٍ؛ فهو يجيد ركوب الخيل، ويَحذِق استعمال السِّلاح، ويخوض غمرات القتال؛ دفاعًا عن العشيرة، وقد يمنع الجار من عدوِّه، وينجد الضَّيف، ويحترم المرأة، وهو أَبِيٌّ كريمٌ؛ ومَظْهَرُ

ولاستكناه ملامح "النَّزعة الفرديَّة"؛ يُنظَر: الإنسان في الشِّعر الجاهليِّ، زيتونيّ، ص٨٤ – ١١٤، (– الباب الأوَّل: العلاقات الاجتماعيَّة/ – الفصل الثَّالث: النَّزعة الفرديَّة/ ١ – الخروج على القبيلة/ ٢ – التَّميُّز الفرديّ/ ٣ – الموقف من الأفراد).

(١) العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، الأشتر، ص٤١٠

(٢) العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، الأشتر، ص٤١١.

كَرمِه: شُرْبُ الخمر، وإنفاق المال، ودعوة النَّدامى إلى مجلس الشَّراب، ونحر الجَزُور في الشِّتاء، وإطعام الجيران والضِّيفان، والتَّحلِّي بالصِّدق والوفاء"[(١)].

ويُجسِّد عَبِيد (ت٢٥ ق. هـ) أمثولةً مهمَّةً، في الفخر الجاهليّ؛ وقد عدَّه ابن سلَّام الجمحيُّ (ت٢٣١هـ)، ضمن شعراء الطَّبقة الرَّابعة، من فحول الجاهليَّة، ذاكرًا شعراء هذه الطَّبقة، بقوله: "وهم أربعةُ رَهْطٍ، فحولٌ شعراءُ، موضعُهم مع الأوائل؛ وإنَّما أخلَّ بهم قلَّة شعرهم بأيدي الرُّواة؛ طَرَفَة بن العَبْد (ت٦٠ ق. هـ)... وعَبِيد بن الأَبْرَص بن جُشَم بن عامر أحد بني دُودَان بن أسد بن خُزَيْمة، وعَلْقَمة بن عَبَدَة (ت٢٠ ق. هـ)... وعَدِيّ بن زَيْد (ت٣٥ ق. هـ)"[(٢)].

---

(١) العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، الأشتر، ص٤١١؛ ولاستبيان أظهر ملامح الفروسيَّة، عند الشُّعراء؛ من حيث عدَّة الفارس وتقاليده؛ يُنظَر: العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، الأشتر، ص٤١١ – ٤١٩، (– الفصل الرَّابع: موضوعات المعَلَّقات وأساليب القول فيها/ ٦ – الفخر والحماسة/ أ – عدَّة الفارس: ١ – الخيل. ٢ – السِّلاح. ٣ – لَبُوس الفارس/ ب – تقاليد الفارس).

(٢) طبقات فحول الشُّعراء، لأبي عبد الله محمَّد بن سلَّام بن عبيد الله الجمحيّ، (ت٢٣١هـ/ ٨٤٦م)، تح: محمود محمَّد شاكر، دار المدنيّ، جدَّة، ومطبعة المدنيّ، القاهرة، (د. ط)، (١٩٧٤م)، ١: ١٣٧، (– الطَّبقة الرَّابعة).

ونرى ابن سلَّامٍ يصف الشَّاعر وشعره، على نحوٍ إجماليّ، قائلًا: "وعَبِيد بن الأَبْرَص قديمٌ عظيم الذِّكر، عظيم الشُّهرة، وشعره مضطربٌ ذاهبٌ، لا أعرف له إلَّا قوله[1]:

[من مُخلَّع البسيط]

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ فَالْقُطَبِيَّاتُ فَالذَّنُوبُ

ولا أدري ما بعد ذلك"[2].

ويلزمنا، في ضوء السَّابق، التَّأكيد على أنَّ "الشِّعر الَّذي صحَّ لعَبِيد بين أيدي الرُّواة قليلٌ، وحُمِل عليه شعرٌ غثٌّ يتداوله النَّاس؛ أمَّا مقالة ابن سلَّام بأنَّه لا يصحُّ له إلَّا "**أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ**"؛ فتلك مقالةٌ تحمل المبالغة والمغالاة،

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ، (ت٢٥ ق. هـ/ ٦٠٠م)، تح: د. عمر فاروق الطَّبَّاع، دار القلم للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، (د. ط)، (١٩٩٤م)، ص١١، (- قافية الباء/ - المعَلَّقة، المجَمْهَرة)؛ ولالتماس القراءة النَّقديَّة البلاغيَّة المعَمَّقة للقصيدة؛ يُنظَر: مُجَمْهَرة عَبِيد بن الأَبْرَص؛ دراسة نقديَّة بلاغيَّة، ناجي، ص١ – ٢٠٨؛ ولمتابعة التَّحقيق الموسيقيّ للقصيدة؛ يُنظَر: مُجَمْهَرة عَبِيد بن الأَبْرَص في الميزان الشِّعريّ/ الموسيقيّ، د. عبد الحميد حمام، مجلَّة كُلِّيَّة الآداب، جامعة الملك سعود، الرِّياض، السُّعوديَّة، (مج: ٣)، (ع: ٢)، (١٩٩١م)، ص٣٤٥ – ٣٨٢.

(٢) طبقات فحول الشُّعراء، ابن سلَّام الجمحيّ، ١: ١٣٨، ١٣٩، (١٦٧ – عَبِيد بن الأَبْرَص).

وتنقضها مقالته الثَّانية؛ الَّتي تقرُّ بعشر قصائد لعَبِيد وطَرَفَة[1]... أمَّا الَّذي لا خلاف فيه؛ فهو أنَّ الَّذي أصاب شعر عَبِيد من السُّقوط والحَمْل عليه أكثر ممَّا أصاب غيره من فحول الجاهليَّة؛ ففي ديوان عَبِيد شعرٌ محمولٌ؛ بعضه غثٌّ مرذولٌ، وبعضه ذو صبغةٍ إسلاميَّةٍ واضحةٍ؛ من زيادة بعض المتَأخِّرين، غير أنَّ هذا المحمول من الهيِّن تمييزه؛ ولا سيَّما أنَّ شعر عَبِيد يحمل قدرًا كبيرًا من الذَّاتيَّة الفنِّيَّة"[2].

وللشَّاعر حضورٌ فروسيٌّ لافتٌ في مجتمع القبيلة؛ "ومن المحَقَّق أنَّه كان لعَبِيد في تاريخ قومه مقامٌ لا يُجهَل؛ فقد اشترك في قيادة زحوفهم، في غاراتهم المختلفة، بينهم وبين كثيرٍ من القبائل العربيَّة، في داخل الجزيرة، ومع بعض ملوك الشَّام من الغسَّانيِّين، في حروبهم الخارجيَّة"[3].

ولذا؛ نجده يصف نفسه "باعْتِسَاف اللَّيل، واقتحام الأخطار، وهو على ظهر وَجْنَاء ناجيةٍ، أو في صَهْوَة جوادٍ سابحٍ، يطيل الافتخار بآثار القبيلة،

---

(١) قال ابن سلَّام الجمحيُّ: "وممَّا يدلُّ على ذهاب الشِّعر وسقوطه؛ قلَّة ما بقي بأيدي الرُّواة المصَحِّحين لطَرَفَة وعَبِيد، اللَّذَيْن صحَّ لهما قصائد بقَدْر عشرٍ..."؛ نقلًا عن: طبقات فحول الشُّعراء، ابن سلَّام الجمحيّ، ١: ٢٦.

(٢) عَبِيد بن الأَبْرَص؛ ديوانه والمستدرك عليه، د. محمَّد عليّ دقَّة، مجلَّة مجمع اللُّغة العربيَّة، دمشق، سوريا، (مج: ٧٢)، (ج: ٣)، (١٩٩٧م)، ص٥٣٣.

(٣) الأدب العربيّ وتاريخه في العصر الجاهليّ، محمَّد هاشم عطيَّة، (ت١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده، القاهرة، (ط٣)، (١٩٣٦م)، ص٢٩٨، (- تراجم الشُّعراء/ ٧ – عَبِيد بن الأَبْرَص/ - حياته وأخباره).

ويـذكر انتصـاراتها علـى الأعـداء، ويتحـدَّث، دائمًـا، بثـورة قومـه بـني أسـد، وخـروجهم علـى حُجـر (د. ت) أبي امـرئ القـيس وقتلـه. ويـذكر امـرأ القـيس (ت٨٠ ق. هـ)، ويُعرِّض بخذلانه لأبيه، وعجزه عن الأخذ بثأره، ويعارضه في بعض قوافيه، ويشير إلى رحلته إلى بلاد الرُّوم؛ للاستعانة بقيصر (جستينيان الأوَّل/ ت نحو ٥٧ ق. هـ)، ثمَّ يعود إلى نفسه؛ فيذكر بلاءه وأيَّامه، وبذله لإخوانه، ويُلِمُّ بالشَّراب والغناء ولهو الحياة، وأينما ذهبت به مفارق الكلام لا ينسى ديار قومه؛ ويمضي، في هذه النَّاحية، حتَّى لا يدع ماءً ولا جبلًا ولا ثَنِيَّةً ولا دارةً من داراتهم إلَّا ذكر أسماءها، وعرف مواقعها؛ وشعره، من هذه الجهة، شعرٌ تاريخيٌّ يتناول الاجتماع البدويَّ[(١)]، بما يشبه صنيع المؤَرِّخين في حياة الأمم"[(٢)]، مع انضوائه ضمن مرحلة النُّضج الطَّبيعيِّ، لشعر الجاهليَّة[(٣)].

(١) للتَّعمُّق في حيثيَّات "مظاهر البداوة"، في الشِّعر الجاهليِّ؛ يُنظَر: مظاهر البداوة وصورها في الشِّعر الجاهليِّ، أحمد اسبيتان الشَّواورة، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، إشراف: أ. د. خليل الرّفوع، جامعة مؤتة، الكرك، (٢٠١٥م)، ص٤ – ١٧، (– الفصل الأوَّل: البداوة؛ مفهومها وخصائصها)؛ ص١٨ – ٥٣، (– الفصل الثَّاني: البادية وآثارها الاجتماعيَّة)؛ ص٥٤ – ٨٧، (– الفصل الثَّالث: مسكن البدويِّ وأدواته)؛ ص٨٨ – ١١٣، (– الفصل الرَّابع: الحياة الاقتصاديَّة عند البدو)؛ ص١١٤ – ١٥٠، (– الفصل الخامس: مصادر الصُّورة وأنماطها).

(٢) الأدب العربيّ وتاريخه في العصر الجاهليِّ، عطيَّة، ص٣٠٠، ٣٠١، (– تراجم الشُّعراء/ ٧ – عَبِيد بن الأَبْرَص/ – حياته وأخباره/ – شعره).

(٣) يُنظَر: مُجْمَهَرة عَبِيد بن الأَبْرَص؛ دراسة نقديَّة بلاغيَّة، د. أحمد سعد عبد الرَّازق ناجي، مجلَّة كُلِّيَّة اللُّغة العربيَّة، جامعة الأزهر، إيتاي البارود، البحيرة، مصر، (مج: ٢٣)، (ع: ٢)،

وكان عَبِيد "من دُهَاة الجاهليَّة وحكمائها، وهو أحد أصحاب "المجمهرات" المعدودة طبقة ثانية عن المعَلَّقات. عاصر امرأ القيس، وله معه مناظراتٌ ومناقضاتٌ. عُمِّرَ طويلًا حتَّى قتله النُّعمان بن المنذر (ت٢٨ ق.هـ)، وقد وفد عليه في يوم بؤسه"(١).

(٢٠٠٨م)، ص١٩ - ٢٣، (- التَّمهيد/ - ثالثًا: شعر عَبِيد يُمثِّل مرحلة النُّضج الطَّبيعيّ للشِّعر الجاهليّ).

(١) الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرِّجال والنِّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدِّين الزِّرِكْليّ، (ت١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، (ط١٥)، (أيَّار، مايو/ ٢٠٠٢م)، ٤: ١٨٨، (- حرف العين/ - عَبِيد بن الأَبْرَص، [ت نحو ٢٥ ق. هـ = نحو ٦٠٠م])؛ ولمقاربة ترجمة الشَّاعر الحياتيَّة والأدبيَّة؛ يُنظَر: الشِّعر والشُّعراء، لأبي محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوريّ، (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، تح: أحمد محمَّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (د. ط)، (١٩٨٢م)، ١: ٢٦٧ - ٢٦٩، (- تراجم الشُّعراء/ ٢٢ – عَبِيد بن الأَبْرَص [الأسديّ])؛ ويُنظَر: تاريخ آداب اللُّغة العربيَّة، جرجي زيدان، (ت١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، طبعة جديدة راجعها وعلَّق عليها: د. شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ١: ١١٤ – ١١٦، (- الشِّعر في العصر الجاهليّ/ - أشهر شعراء الجاهليَّة/ - أصحاب المعَلَّقات/ ١٠ – عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ، [تُوفِّي سنة ٥٥٥هـ])؛ ويُنظَر: الأدب العربيّ وتاريخه في العصر الجاهليّ، عطيَّة، ص٢٩٦ – ٣١٧، (- تراجم الشُّعراء/ ٧ – عَبِيد بن الأَبْرَص)؛ ويُنظَر: الجامع في تاريخ الأدب العربيّ؛ الأدب القديم، الفاخوريّ، ص٢٤١ – ٢٤٣، (- الأدب العربيّ القديم: الأدب الجاهليّ/ - الباب السَّابع: شعراء البلاط والتَّكسُّب/ - الفصل الأوَّل: في موكب المعَلَّقات/ – عَبِيد بن الأَبْرَص، [تُوفِّي نحو سنة ٥٥٤م])؛ ويُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه - أغراضه - أعلامه - فنونه، طليمات والأشقر، ص٤٣٩ – ٤٥٩، (- الباب الرَّابع: شعراء المعَلَّقات العشر/- الفصل العاشر: عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ، [٤٥٥ –

كما كان شاعرًا "ذا شأنٍ، وكان لشعره شيوعٌ وسيرورةٌ؛ أمَّا قبيلته بنو أسد فقد كانت في نجد؛ بين شماليّ الحجاز وجنوبيّ الشَّام، وشرقيّ طريق التِّجارة الَّذي يصل الشَّام باليمن، وغربيّ جبلي طَيِّء: أجأ، وسلمى؛ وربَّما أدَّى قرب بني أسد من طَيِّء إلى نوعٍ من الاتِّصال بالطَّائيّين؛ وهذا الموضع يعني أنَّهم كانوا جيران الغساسنة؛ ولذلك كانت أسد أولى القبائل غير اليمنيَّة الَّتي كان الملك الغسَّانيُّ يحاربها لتأديبها، وكفِّ غزواتها عن ملكه، وعن بلاد الرُّومان"(١).

***

٥٤٥م])؛ ويُنظَر: عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ؛ حياته وشعره، رفعت عبد الله مصطفى عابد، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الأردنيَّة، عمَّان، (١٩٨٩م).

(١) الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص٤٣٩.

– ٢: التَّنميط الفخريُّ الحماسيُّ الذَّاتيُّ.

– ٢. ١: التَّنميط الفروسيُّ.

حضر التَّنميط الفروسيُّ الذَّاتيُّ؛ ضمن نسقي: المباشرة، والإيحاء؛ أمَّا المباشرة فكانت تأصيلًا لفروسيَّة الشَّاعر ضمن نمطي: العطاء، والفداء؛ ليقترن الأوَّل بالسُّمُوِّ المسلكيِّ المادِّيِّ؛ ويرتبط الثَّاني بالجدارة القتاليَّة؛ مع مُثُول الإيحاء في الفَخْر بمثاليَّة النَّاقة والفرس؛ في نطاقات: القتال، والتَّرحال، والصَّيد.

ويكون مستهلُّ الخطاب بزجر أبي كَربٍ، عقب المطلع الغزليِّ الطَّيفيِّ في "أسماء" الرَّاحلة؛ لغاية توجيه الصَّدارة التَّعبيريَّة، للفخر بالذَّات، بسبيل التَّأكيد الإخباريِّ الاسميِّ الرَّاسخ، ثمَّ الفعليِّ الفروسيِّ، فيقول عَبِيد[١]:

[من البسيط]

اذْهَبْ إِلَيْكَ فَإِنِّي مِنْ بَنِي أَسَدٍ ... أَهْلِ الْقِبَابِ وَأَهْلِ الْجُرْدِ وَالنَّادِي

قَدْ أَتْرُكُ الْقِرْنَ مُصْفَرًّا أَنَامِلُهُ ... كَأَنَّ أَثْوَابَهُ مُجَّتْ بِفِرْصَادِ

أَوْجَرْتُهُ وَنَوَاصِي الْخَيْلِ شَاحِبَةٌ ... سَمْرَاءَ عَامِلُهَا مِنْ خَلْفِهِ بَادِي

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٣٦، (– قافية الدَّال/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [١٣]: طَافَ الْخَيَالُ عَلَيْنَا لَيْلَةَ الْوَادِي...).

وعندما يبتني الشَّاعر من مفتاح اللَّوحة أداة الإنشاء الزَّاجِر؛ فلغاية المكْنة الأصوليَّة المرتدَّة إلى النَّسب القبليّ، وفي لُبِّ المقُول تتبدَّى "أسد" بعظمة كينونتها؛ بالكنايات المؤَكِّدة ثيمَات: السِّيادة بدالِّ "القِبَاب"، والفروسيَّة بملفوظ "الجُرْد"، وزعامة الرَّأي والحكمة بإيحاء "النَّادِي"، على اعتلاقها جميعًا بالأهليَّة؛ المنبئة عن الرُّسوخ والثَّبات، وارتدادها الفخريّ إلى الأنويَّة المندغمة مع الجماعة؛ وأمَّا الإشارة إلى نادي القبيلة فتندرج ضمن الإشارات الكثيرة له في الشِّعر الجاهليّ؛ "وفي ذلك تدليلٌ على مدى تماسك الأواصر القبليَّة، وسيادة مبدأ الشُّورى، عند أهل الرَّأي، قبل مرحلة الرِّئاسة المطلقة، وذوبان الفرد في الجماعة"(١).

ويتَّخذ التَّنْميط الفخريُّ الذَّاتيُّ، تاليًا، أمثولة الفروسيَّة، في المواجهة القتاليَّة الحاسمة، الَّتي تتمظهر بالمؤَدَّى، ثمَّ ترعوي إلى المسَبِّب النَّاجز في جسد الخصم القتيل؛ حين يصرع الشَّاعر خصمه لينزف دمًا إلى حدِّ الاصفرار؛ ذلك الَّذي بدا في تقانة التَّصوير البلاغيّ مُؤَكَّد الكَثْرة، بحُمْرة اللَّون، الموازية حُمْرة التُّوت؛ على ما في الأسلوب الشِّعريّ من مُؤَشِّر الفخر الفروسيّ بالظَّفَر السَّاحق في النِّزال؛ بفعل الطَّعن النَّافذ بالرُّمح في جسد الآخر.

---

(١) قصَّة الأدب العربيّ، د. خالد يوسف، مُؤسَّسة الرِّحاب الحديثة، بيروت، (د. ط)، (٢٠١١م)، ص٨٠، (- القسم الثَّاني: الأدب العربيّ في ظلِّ المؤَثِّرات/ - المجتمع والنِّظام السِّياسيّ/ - النَّادي القبليّ في الجاهليَّة).

وينهج الشَّاعر نهج الفخر الذَّاتيّ المشتمل بالفروسيَّة، المتَّكئة على أداتي التَّرْحال في بيئة الجاهليّين؛ بمثالي: الفرس، والنَّاقة؛ وفيهما خصيصة الارتقاء التَّصويريّ بالسِّمات الخَلْقيَّة الأسطوريَّة؛ في مقامي: الصَّيد، والتَّرْحال، على ما في اللَّوحات الشِّعريَّة من فخريَّاتٍ ذاتيَّةٍ ظاهرةٍ ومُبَطَّنةٍ؛ تتوسَّل بالمثال الحيوانيّ ترسيخ مثاليَّة الفارس العربيّ الهُمَام.

ويستعيد الشَّاعر ذكرى "سُلَيْمَى" واصفًا يوم الرَّحيل، ومُعَرِّجًا، في إثر ذلك، على ابتناء لوحة الصَّيد بالفرس المثاليَّة، الَّتي تلامس أقطاب: الخِلْقة، والحركة، والصَّيد، والمؤَدَّى، قائلًا(١):

[من الطَّويل]

وَقَدْ أَغْتَدِي قَبْلَ الْغَطَاطِ وَصَاحِبِي أَمِينُ الشَّظَا رِخْوُ اللَّبَانِ سَبُوحُ

إِذَا حَرَّكَتْهُ السَّاقُ قُلْتُ مُجَنَّبٌ غَضِيضٌ غَذَتْهُ عَهْدَةٌ وَسُرُوحُ

مَرَاتِعُهُ الْقِيعَانُ فَرْدٌ كَأَنَّهُ إِذَا مَا تُمَاشِيهِ الظِّبَاءُ نَطِيحُ

فَهَاجَ لَهُ حَيٌّ غَدَاةً فَأَوْسَدُوا كِلَابًا فَكُلُّ الضَّارِيَاتِ يُشِيحُ

إِذَا خَافَ مِنْهُنَّ اللَّحَاقَ نَمَتْ بِهِ قَوَائِمُ حَمْشَاتُ الأَسَافِلِ رُوحُ

وَقَدْ أَتْرُكُ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ بِصَدْرِهِ مُشَلْشِلَةٌ فَوْقَ النِّطَاقِ تَفُوحُ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٣٠، ٣١، (- قافية الحاء/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٩]: نَأَتْكَ سُلَيْمَى فَالْفُؤَادُ قَرِيحُ...).

دَفُــوعٌ لأَطْـرَافِ الأَنَامِــلِ ثَـــرَّةٌ لَهَـا بَعْـدَ إِشْـرَافِ الْعَبِيـطِ نَشِيـحُ

إِذَا جَـاءَ سِـرْبٌ مِـنْ ظِبَـاءٍ يَعُدْنَـهُ تَبَــادَرْنَ شَتَّـــى كُلُّهُـــنَّ تَنُـــوحُ

وينبني تأسيس استهلال اللَّوحة، على مقاربةٍ واعيةٍ للغُدُوّ الاستشرافيّ، في المِوَازِيات النَّصِّيَّة الجاهليَّة؛ الَّتي تقاطعت في إنماء الحسّ الحركيّ للخصوبة الحياتيَّة، عقب البُعد الأنثويّ، وارتحال القبيلة؛ ليكون للحركة المقترنة بانبلاج الزَّمن؛ في صباح القابل على إخصاب اللَّوحة بمُبْتَنى التَّصوير الفعليّ؛ أثر المجابهة التَّوليديَّة لدواعي الحياة والنَّماء.

ويكون المنحى الفنِّيُّ الإنمائيُّ منبعثًا للفخر الذَّاتيّ الَّذي يُجلِّل اللَّوحة بكُلِّيَّتها؛ من خلال التَّوصيف الدَّقيق لسمات الفرس المثاليَّة؛ ذات العظم الرَّقيق، والصَّدر الواسع، والسَّير المنبسط، والسِّمَن المتَوَلِّد من الأمطار المتتابعة والمراعي الخصيبة، ثمَّ تتجلَّى مشهديَّة الطَّرد في حركة ملاحقة الفرس والكلاب للهدف/ الظَّبية؛ لتتعالى البؤرة التَّصعيديَّة للفعل الفخريّ بدقَّة الإصابة؛ لإيحاء مُكْنة الصَّائد من الصَّيد؛ على مفارقة الحُبُور من جهة الفارس، والنُّوَاح من جهة سرب الظِّباء.

ويمكننا وفق الفهم المحايث للَّوحة الشِّعريَّة، قراءة مُخرَجها الغائيّ على نمطي: وَقْعَنة الحدث، وأَسْطَرة الفنّ؛ بتبدِّي انتصار الفعل على سكون الطَّلل في الأوَّل، ومُثُول إخصاب التَّصوير لجَدْب المكان في الثَّاني، مع حضور مُؤَسِّسات الحياة، ورموز الأسطورة؛ الموحية بقيم الخصوبة الحياتيَّة.

ويُؤسِّس عَبِيد لنمط الفخر الفروسيّ المثاليّ؛ بحضور النَّاقة تارةً، والفرس تارةً أخرى، على تملُّك المطيَّتَيْن سمات الفرادة الشَّكليَّة والفِعليَّة؛ ولهذا كلِّه أن يحيل إلى الفخر الذَّاتيّ، على سبيل امتلاك الحيوان المثال، في عظيم الملمَّات؛ وليس أدعى لهذا الخلق الفنّيّ؛ من أزمة الفناء عقب الحياة الخصيبة؛ فانتفاء حضور الأنثى؛ مدعاةٌ للقلق الوجوديّ؛ المنعكس على تصوير المشهد؛ بفاجعة التَّأمُّل البكائيّ في جَدْب الطَّلل، واسترسال الاستبصار الرُّوحيّ في إثر الموكب الرَّاحل.

ويصدر المقول الفخريُّ، عن عَبِيد، في لُبِّ الأزمة الطَّلليَّة، مُشَبِّبًا بـ"فاطمة" الرَّاحلة، ومُستذكِرًا ملامح حسنها الفريد؛ ليتناسى، تاليًا، حُبَّها بالنَّاقة المثال؛ تَقدِمةً للفخر الذَّاتيّ والجمعيّ، حيث يقول[1]:

[من الكامل]

أَفَـلا تُنَـاسِـي حُبَّهَـا بِجُلالَـةٍ وَجْنَـاءَ كَالأُجُـمِ الْمَطِينِ وَلُـوسِ

...

أَمَّـا إِذَا اسْتَقْبَلْتَهَـا فَكَأَنَّـهَـا ذَبُلَتْ مِـنَ الْهِنْـدِيِّ غَيْـرَ يَبُوسِ

أَمَّـا إِذَا اسْتَدْبَرْتَهَـا فَكَأَنَّـهَـا قَـارُورَةٌ صَفْـرَاءُ ذَاتُ كَبِيـسِ

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٥٢ – ٥٤، (- قافية السِّين/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٢٣]: لِمَنِ الدِّيَارُ بِصَاحَةٍ فَحَرُوسِ...).

وَإِذَا اقْتَنَصْنَا لا يَجِفُّ خِضَابُهَا وَكَـأَنَّ بِرْكَتَهَـا مَـدَاكُ عَـرُوسِ
وَإِذَا دَفَعْنَـا لِلْحِـرَاجِ فَنَهْبُـهَـا أَدْنَـى سَـوَامِ الْجَامِـلِ الْمَحْلُوسِ
هَاتِيكَ تَحْمِلُنِي وَأَبْيَـضَ صَارِمًـا وَمُحَرَّبًـا فِي مَـارِنٍ مَخْمُـوسِ
فِي أُسْرَةٍ يَـوْمَ الْخِفَاظِ مَصَالِتٍ كَالأُسْـدِ لا يُنْمَـى لَهَـا بِفَرِيـسِ
وَبَنُـو خُزَيْمَـةَ يَعْلَمُـونَ بِأَنَّنَـا مِـنْ خَيْرِهِـمْ فِـي غِبْطَـةٍ وَبَئِيـسِ
نُبْكِي عَدُوَّهُـمُ وَيَنْطَـحُ كَبْشُنَـا لَهُـمُ وَلَيْـسَ النَّطْـحُ بِالْمَوْمُوسِ

وتتوالى التَّوصيفات المشبعة بمثاليَّة التَّصوير الحسِّيّ؛ فالنَّاقة المثال ضخمة البنية، صلبة المِراس، فضلًا عن سماتها الماثلة في: شدَّة القِوام، وسرعة الجري، ونشاط الحركة، واستطالة القوائم، وحدَّة المشافر، وقوَّة العزم، وهي، حال الاستقبال، هزيلةٌ ضامرةٌ؛ لسيرها الحثيث، وفي الإدبار قارورة شرابٍ؛ لاستدارة أوراكها، ولا يجفُّ دم الصَّيد عن صدرها الحجريّ الصُّلب، كما أنَّها قادرةٌ على التَّكيُّف مع الدَّرب الوعر؛ ولهذه السِّمات المثاليَّة أن تواكب دورها الواقعيَّ، وإشاريَّتها الرَّمزيَّة؛ لتجاوز الجَدْب السَّابق؛ باستلهام الخِصْب المنشود(١).

(١) حول رمزيَّة "النَّاقة" للتَّجاوز، في الشِّعر الجاهليّ؛ يُنظَر: دلالات الوحدة في قصيدة الصَّيد الجاهليَّة، عصام محمَّد المشهراويّ، مجلَّة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانيَّة، غزَّة، فلسطين، (مج: ١٢)، (ع: ٢)، (٢٠١٠م)، ص١٢٥ – ١٣٢، (ج – النَّاقة رمزٌ للتَّجاوز).

ولمجمل اللَّوحة اقترانٌ بالفخر في أعلى مراتب الفروسيَّة؛ حين يتَّخذ الشَّاعر من مفتاح الإشارة "هاتيك" مُتَّكأً للإخبار الفِعليّ؛ المنبئ عن التَّحفُّز في القتال، وقد اتَّشح الفارس بسيفه الصَّارم، وحمل رمحه المستطيل، مقبلًا مع رهطه في يوم الحَمِيَّة والنِّزال، وهم الشُّجعان كالأُسْد الشَّامخة الَّتي لا تُصَاب في مقتلٍ.

وعندما يقف الشَّاعر على دار "هند" باكيًا وصحبه أطلالها، نراه، لاحقًا، يخلص إلى تسرية الذَّات بالنَّاقة المثال، فيقول(١):

[من البسيط]

وَقَدْ أُسَلِّي هُمُومِي حِينَ تَحْضُرُنِي ... بِجَسْرَةٍ كَعَلاةِ الْقَيْنِ شِمْلالِ

زَيَّافَةٍ بِقُتُودِ الرَّحْلِ نَاجِيَةٍ ... تَفْرِي الْهَجِيرَ بِتَبْغِيلٍ وَإِرْقَالِ

مَقْذُوفَةٍ بِلَكِيكِ اللَّحْمِ عَنْ عُرُضٍ ... كَمُفْرَدٍ وَحَدٍ بِالْجَوِّ ذَيَّالِ

هَذَا وَرُبَّتُ حَرْبٍ قَدْ سَمَوْتُ لَهَا ... حَتَّى شَبَبْتُ لَهَا نَارًا بِإِشْعَالِ

تَحْتِي مُضَبَّرَةٌ جَرْدَاءُ عِجْلِزَةٌ ... كَالسَّهْمِ أَرْسَلَهُ مِنْ كَفِّهِ الْغَالِي

وَكَبْشِ مَلْمُومَةٍ بَادٍ نَوَاجِذُهُ ... شَهْبَاءَ ذَاتِ سَرَابِيلٍ وَأَبْطَالِ

أَوْجَرْتُ جُفْرَتَهُ خُرْصًا فَمَالَ بِهِ ... كَمَا انْثَنَى مُخْضَدٌ مِنْ نَاعِمِ الضَّالِ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٧٥، ٧٦، (- قافية اللَّام/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣٣]: يَأْ دَارَ هِنْدٍ عَفَاهَا كُلُّ هَطَّالِ...).

وحازت ناقة عَبِيد من خصال المثال؛ ما يُؤسِّس للقُوَّة والضَّخامة، بالإضافة إلى إتقان ضروب السَّير والعدو بسرعةٍ وخِفَّةٍ، ثمَّ إنَّها مكتنزة اللَّحم، موثوقة الخِلْقة، تمشي في زهوٍ وتبخترٍ، وللتَّوصيف الشِّعريّ وجه الموَازاة التَّصويريَّة مع الفرس؛ بالشِّدَّة والقُوَّة، في المواجهة القتاليَّة لسيِّد الكتيبة الجرَّارة، المتَرنِّح بطعنة الرُّمح القاتلة؛ وبهذا يحرز الشَّاعر فخريَّته الذَّاتيَّة؛ من وجهي: مثاليَّة المِطِيَّة، وأمثولة الخصم الهُمَام القتيل، على أنَّ الخطاب يرعوي، تاليًا، إلى ذكرى الشَّباب اللَّاهي في حقلي: الخمر، والمرأة، مع دلالة علائم الشَّيب على دُنُوِّ الرَّحيل المجلَّل بالعبر؛ ممَّا يوحي بحرص الشَّاعر على إخصاب الأطلال بفخريَّة الفروسيَّة القتاليَّة، والشَّباب اللَّاهي المفعم باللَّذَّة والآمال.

وقد يجمع عَبِيد بين النَّاقة والفرس؛ في مقام دفع ملامة الرَّفيق بالحكمة، وصولًا إلى ذروة الفخر الذَّاتيّ، في خضمّ الملِمَّات؛ بالنَّاقة السَّريعة، والفرس الكريمة، مرتدًّا، في إثر ذلك، إلى لهو الشَّباب، ومقفلًا القصيد بحكمة حتميَّة الرَّحيل، ويقول في ذلك(١):

[من البسيط]

وَلا يُفَارِقُنِي مَا عِشْتُ ذُو حَقَبٍ نَهْدُ الْقَذَالِ جَوَادٌ غَيْرُ مِلْوَاحِ

أَوْ مُهْرَةٌ مِنْ عِتَاقِ الْخَيْلِ سَابِحَةٌ كَأَنَّهَا سَحْقُ بُرْدٍ بَيْنَ أَرْمَاحِ

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٢٨، (- قافية الحاء/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٨]: يَا صَاحِ مَهْلًا أَقِلَّ الْعَذْلَ يَا صَاحِ...).

وَمَهْمَـهٍ مُقْفِـرِ الأَعْـلامِ مُنْجَـرِدٍ نَائِي الْمَنَاهِلِ جَدْبِ الْقَـاعِ مِنْزَاحِ

أَجَزْتُـــهُ بِعَلَنْـــدَاةٍ مُذَكَّـــرَةٍ كَالْعَيْـرِ مَـوَّارَةِ الضَّبْعَيْنِ مِمْـرَاحِ

ويطالعنا الشَّاعر باللَّوحات الحيوانيَّة المثاليَّة، ذات الطَّابع الفخريّ الذَّاتيّ المبَطَّن، وتتموضع في مشاهدها التَّصويريَّة الحسِّيَّة النَّاقة المثال[1]، والفرس الأسطوريَّة العتيقة[2]؛ لمبتغى دفع ملامح الفناء، بحضور فروسيَّة الشَّباب، على ما في واقعيَّة النَّمذجة؛ من غائيَّة التَّصوير الشِّعريّ، للقحل المكانيّ؛ صدورًا عن الفخر الذَّاتيّ باستشراف بواعث الحياة[3].

وشكَّلت لوحة الرِّحلة، بذلك، تحدِّيًا للسُّكون الطَّلليّ، وقد "بدأت هذه الرِّحلة عندما امتطى الشَّاعر فرسه أو ناقته متجاوزًا عوالمَ مجهولةً ومخاطرَ مُحْدِقَةً، ثمَّ سجَّل بعض المواقف الدِّراميَّة بين الصَّيَّاد والحيوان الوحشيّ من جهةٍ، وبين الكلاب والحيوان الوحشيّ من جهةٍ أخرى؛ مواقف فيها من

---

(١) لمطالعة صورة "النَّاقة"، في الشِّعر الجاهليّ؛ يُنظَر: تطوُّر الصُّورة في الشِّعر الجاهليّ، د. خالد محمَّد الزَّواويّ، مُؤسَّسة حورس الدَّوليَّة للنَّشر والتَّوزيع، الإسكندريَّة، (د. ط)، (٢٠٠٥م)، ص١٢٦ – ١٤٧، (– الفصل الثَّاني: الصُّورة الجزئيَّة/ ٤ – النَّاقة).

(٢) لمدارسة صورة "الفرس"، في الشِّعر الجاهليّ؛ يُنظَر: تطوُّر الصُّورة في الشِّعر الجاهليّ، الزَّواويّ، ص١٤٨ – ١٦٢، (– الفصل الثَّاني: الصُّورة الجزئيَّة/ ٥ – الفرس).

(٣) يُنظَر: ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص١٥، ١٦، (– وصف النَّاقة والفرس)؛ ص١٨، (– وصف النَّاقة)؛ ص٣٧، ٣٨، (– وصف النَّاقة)؛ ص٧٤، (– وصف النَّاقة)؛ ص٩٢، ٩٣، (– وصف النَّاقة).

الصِّراع المستعر، لا يهدأ ولا يخفت، بعضه خارجيٌّ بين الكائنات، وبعضه داخليٌّ تمور به النَّفس وتغلي"(١).

وكانت الرِّحلة تُرْجُمان المواجهة الاستشرافيَّة مع سطوة الزَّمن والبيئة؛ "وذلك بتخطِّي فعل الزَّمن المدَمِّر وحتميَّة الموت ورعب المصير؛ بالمغامرة والطُّموح لنيل المكاسب. إنَّها مرحلة وصلٍ وجمعٍ مملوءةٌ بالرَّغبة الجامحة إلى تحقيق الاستقرار والتَّماسك الاجتماعيّ، وضمان الطُّمأنينة للذَّات في المحيط المتوحِّش؛ القائم على: الاضطراب، والصِّراع، والخطر، والتَّفكُّك، والانحلال"(٢).

والثَّابت، في الخطاب الشِّعريّ الفخريّ الفروسيّ، حرص الشَّاعر على ترسيخ قيمة الشَّجاعة؛ بوصفها القيمة المثْلى؛ "لما لها من أثرٍ كبيرٍ في حياة الإنسان العربيّ ومعاشه؛ ذلك أنَّ حياة البادية الَّتي عاش فيها؛ تطلَّبت منه قُوَّةً في مجابهة عداء القبائل الأخرى، الَّتي ما فتئت تغير عليه وتغزو قبيلته، كما تطلَّبت منه قُوَّةً، أيضًا، في مجابهة طبيعةٍ صحراويَّةٍ جافَّةٍ؛ دفعته، في أكثر الأحيان، إلى تعسُّف الفلوات، وارتياد القفار؛ طلبًا للماء والمرعى حينًا، أو

(١) دلالات الوحدة في قصيدة الصَّيد الجاهليَّة، المشهراويّ، ص١٢٢، (ب – الرِّحلة ومشهد الصَّيد)؛ وللاطِّلاع على رمزيَّة "الرِّحلة" و"الصَّيد"، في الشِّعر الجاهليّ؛ يُنظَر: تطوُّر الصُّورة في الشِّعر الجاهليّ، الزَّواويّ، ص٢٣٠ – ٢٤٥، (– الفصل الثَّالث: الرَّمز والصُّورة/ ٢ – رمز الرِّحلة)؛ ص٢٤٦ – ٢٥٦، (٣ – رمز الصَّيد).

(٢) دلالات الوحدة في قصيدة الصَّيد الجاهليَّة، المشهراويّ، ص١٢٤.

طلبًا للصَّيد والقنص حينًا آخرَ. ولم يكن مستغربًا، بعد ذلك، أن تظهر القبيلة، في كثيرٍ من الأشعار، وهي تُمجِّد القُوَّة وأسبابها؛ فتُعلِي من مكانة الفرد القويّ، وتعتزُّ بالمقاتل الشُّجاع، وتباهي بالفارس البطل، وتعدُّ البأس أهمَّ وسيلةٍ تحميها، وتُحصِّنها، وتجعلها قويَّةً منيعةً قادرةً على البقاء والاستمرار في العيش"(١).

***

(١) الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص٢٠٤، (- الباب الثَّاني: القِيَم الخُلُقيَّة/ - الفصل الثَّاني: الشَّجاعة)؛ ولاستقراء بواعث الفروسيَّة وعناصرها وتقاليدها، في الشِّعر الجاهليّ؛ يُنظَر: الفروسيَّة في الشِّعر الجاهليّ، القيسيّ، ص٤١ – ١٣٥، (- الباب الأوَّل: الفروسيَّة/ - الفصل الثَّاني: بواعث الفروسيَّة)؛ ص١٣٦ – ١٩١، (- الفصل الثَّالث: عناصر الفروسيَّة)؛ ص١٩٢ - ٢٠٢، (- الفصل الرَّابع: تقاليد الفروسيَّة).

– ٢. ٢: التَّنميط الأخلاقيُّ.

سعى عَبِيد إلى ترسيخ النَّمطيَّة الأخلاقيَّة، في الإطار الفخريِّ الذَّاتيّ؛ بحميد الخصال والأعمال؛ الَّتي تنبئ عن جلال المنظومة الأخلاقيَّة الجاهليَّة، في معاملات النَّاس، ومخالقات البشر؛ المقترنة بحكمة العمل الدَّؤوب؛ للفوز بالحمد المنشود، في الحياة، وبعد الممات.

ويتموقع الخطاب الفخريُّ الأخلاقيُّ الفريد، في موقعٍ مُتَأخِّرٍ من القصيد، عقب دفع اللَّوم، والفخر بالمفازة، واستذكار لهو الشَّباب، فيقول الشَّاعر(١):

[من البسيط]

أَشْرِي التِّلادَ بِحَمْدِ الْجَارِ أَبْذُلُهُ ... حَتَّى أَصِيرَ رَمِيمًا تَحْتَ أَلْوَاحِ

بَعْدَ الظَّلالِ إِذَا وُسِّدْتُ حَثْحَثَةً ... فِي قَعْرِ مُظْلِمَةِ الأَرْجَاءِ مِكْلاحِ

أَوْ صِرْتُ ذَا بُومَةٍ فِي رَأْسِ رَابِيَةٍ ... أَوْ فِي قَرَارٍ مِنَ الأَرْضِينَ قِرْوَاحِ

كَمْ مِنْ فَتًى مِثْلِ غُصْنِ الْبَانِ فِي كَرَمٍ ... مَحْضِ الضَّرِيبَةِ صَلْتِ الْخَدِّ وَضَّاحِ

فَارَقْتُهُ غَيْرَ قَالٍ لِي وَلَسْتُ لَهُ ... بِالْقَالِ أَصْبَحَ فِي مَلْحُودَةٍ نَاحِي

هَلْ نَحْنُ إِلَّا كَأَجْسَادٍ تَمُرُّ بِهَا ... تَحْتَ التُّرَابِ وَأَرْوَاحٍ كَأَرْوَاحِ

أمَّا المجد فعنوان عناية التَّملُّك، في الفخريَّة الذَّاتيَّة؛ المقبلة على الجار بالسَّخاء، والشَّاعر صائرٌ بعد حينٍ من الظِّلِّ إلى التُّراب، ومن الحياة إلى

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٢٩، (– قافية الحاء/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٨]: يَا صَاحِ مَهْلًا أَقِلَّ الْعَذْلَ يَا صَاحِ...).

الفناء، بإحدى ميتتَيْن؛ مِيتَةٍ طبيعيَّةٍ؛ بكينونة الجسد في حفرةٍ مظلمةٍ؛ توحي بالقبح والكآبة، وقِتْلَةٍ في ميادين النِّزال؛ على صيرورة الرُّوح إلى هامةٍ هائمةٍ شريدةٍ[١]؛ ليضحي الإخبار الكمِّيُّ إيحاءً بحتميَّة الرَّحيل البشريّ صوب الفناء، وحكمة التَّطاير الرُّوحيّ اللَّاحق بالبشر[٢].

ويعتلق الفخر الأخلاقيُّ الذَّاتيُّ بالحكمة المنبثقة عن تطاول العمر؛ بما يحمل معه من تكاثر الأحداث، ومواجهة الملِمَّات، ليتموضع في بؤرة المقطع الشِّعريّ، مسبوقًا بتوصيف الحال بعد رحيله، ومتبوعًا بمواقعاته الحياتيَّة المختلفة، خلوصًا إلى حكمة فناء الإنسان وخلود الإله، فيقول عَبِيد في ذلك[٣]:

---

(١) (البُومَة): "الطَّائر الَّذي يخرج من رأس الميِّت، ويظلُّ ينادي: اسقوني؛ حتَّى يُؤخَذ بثأره"؛ نقلًا عن: ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٢٩، (– الحاشية)؛ ولاستيضاح أسطورة "الهامة والصَّدى"، في الفكر الجاهليّ؛ يُنظَر: الحياة العربيَّة من الشِّعر الجاهليّ، د. أحمد محمَّد الحوفيّ، (ت١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، (ط٢)، (١٩٥٢م)، ص٣٩٩ – ٤٠٢، (– الباب الخامس: العادات والمعتقدات من الشِّعر/ ٧ – الهامة والصَّدى)؛ ويُنظَر: الهامة والصَّدى؛ صدى الرُّوح في الشِّعر الجاهليّ، أ. د. إحسان الدِّيك، مجلَّة جامعة النَّجاح للأبحاث، العلوم الإنسانيَّة، نابلس، فلسطين، (مج: ١٣)، (ع: ٢)، (١٩٩٩م)، ص٦٢٦ – ٦٧٩.

(٢) شاع في المعتقد الجاهليّ: "تطاير أرواح البشر، في كُلِّ صوبٍ، كالرِّياح"؛ نقلًا عن: ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٢٩، (– الحاشية).

(٣) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٣٩، (– قافية الدَّال/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [١٥]: وَلَتَأْتِيَنْ بَعْدِي قُرُونٌ جَمَّةٌ...).

[من الكامل]

وَلَتَأْتِيَــنْ بَعْـدِي قُـرُونٌ جَمَّــةٌ تَرْعَـى مَخَـارِمَ أَيْكَـــةٍ وَلَـدُودَا
فَالشَّمْسُ طَالِعَـةٌ وَلَيْـلٌ كَاسِـفٌ وَالنَّجْمُ تَجْرِي أَنْحُسًـا وَسُعُـودَا
حَتَّى يُقَـالَ لِمَـنْ تَعَـرَّقَ دَهْـرَهُ: يَا ذَا الزَّمَانَـةِ هَـلْ رَأَيْتَ عَبِيـدَا؟
مائَتَـيْ زَمَـــانٍ كَامِــلٍ وَنَصِيَّــةً عِشْرِينَ عِشْتُ مُعَمَّـرًا مَحْمُودَا
أَدْرَكْـتُ أَوَّلَ مُلْكِ نَصْـرٍ نَاشِئًـا وَبِنَـــاءَ سِنْـدَادٍ وَكَـــانَ أُبَيْـــدَا
وَطَلَبْـتُ ذَا الْقَرْنَيْنِ حَتَّى فَاتَنِـي رَكْـضًـا وَكِـدْتُ بِـأَنْ أَرَى دَاؤُودَا
مَـا تَبْتَغِي مِـنْ بَعْـدِ هَـذَا عِيشَـةً إِلَّا الْخُلُـودَ وَلَـنْ تَنَـالَ خُلُـودَا
وَلَيَفْنَيَـنْ هَـــذَا وَذَاكَ كِلاهُمَـــا إِلَّا الإِلَـــهَ وَوَجْهَـــهُ الْمَعْبُـــودَا

ويرصد الشَّاعر في المستهلّ تعاقب القرون على الأماكن، وتتابع الأيَّام بالشَّمس الطَّالعة واللَّيل الكاسف، وجريان النُّجوم بالنَّحس والسُّعود؛ على ما في مساءلة العاجز من إيحاء الرَّحيل؛ تَقْدِمَةً لبؤرة الفخر بالعمر الطَّويل، والسِّيرة المحمودة، مُرَسِّخًا بعض معايشاته المقترنة بأصالة التَّجربة، وعمق الالتئام بالتَّاريخ العربيّ التَّليد؛ ومنها: إدراكه أوَّل مُلْكِ "بني نصر"، من ملوك العرب المعروفين، وبناء قصر "سِنْدَاد"، من قصور ملوك بني لَخْم في العراق، وكاد مع ذلك أن يدرك ذا القرنَيْن وداود؛ مستنكرًا، في إثر ذلك، على ذاته، توهُّم إدراك الخلود؛ ومُؤَكِّدا، في الختام، الفناء الحياتيَّ المشهود في البشر دون الإله.

وممَّا يتقاطع مع اللَّوحة السَّابقة، على نحوٍ مختزلٍ، فخريَّة الشَّاعر بتطاول عمره، حتَّى أصبح رفيق النُّجوم؛ على إيحاء الحكمة المتَولِّدة من التَّجارب، وفي ذلك يقول(١):

[من الطَّويل]

وَهَلْ رَامَ عَنْ عَهْدِي وُدَيْكٌ مَكَانَهُ إِلَى حَيْثُ يُفْضِي سَيْلُ ذَاتِ الْمَسَاجِدِ

فَنِيتُ وَأَفْنَانِي الزَّمَانُ وَأَصْبَحَتْ لِدَاتِي بَنُو نَعْشٍ وَزُهْرُ الْفَرَاقِدِ

وينطلق الخطاب الفخريُّ، في إثر الوقفة الطَّلليَّة، والتَّأمُّل الغزليّ، في الصِّفات المثْلى لِـ"سَعْدة"؛ لغاية إقرار عَبِيد بهُيَامه فيها؛ وهو البادي بحال "الْحَائِمِ الصَّدِيّ"، حيث يقول(٢):

[من الطَّويل]

فَإِنِّي إِلَى سُعْدَى وَإِنْ طَالَ نَأْيُهَا إِلَى نَيْلِهَا مَا عِشْتُ كَالْحَائِمِ الصَّدِي

إِذَا كُنْتَ لَمْ تَعْبَأْ بِرَأْيٍ وَلَمْ تُطِعْ لِنُصْحٍ وَلا تُصْغِي إِلَى قَوْلِ مُرْشِدِ

فَلا تَتَّقِي ذَمَّ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا وَتَدْفَعُ عَنْهَا بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

وَتَصْفَحُ عَنْ ذِي جَهْلِهَا وَتَحُوطُهَا وَتَقْمَعُ عَنْهَا نَخْوَةَ الْمُتَهَدِّدِ

وَتَنْزِلُ مِنْهَا بِالْمَكَانِ الَّذِي بِهِ يُرَى الْفَضْلُ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْمُتَحَمِّدِ

فَلَسْتَ، وَإِنْ عَلَّلْتَ نَفْسَكَ بِالْمُنَى بِذِي سُودَدٍ بَادٍ وَلا كَرْبِ سَيِّدِ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٤٣، (– قافية الدَّال/ – فاتح المقطوعة الشِّعريَّة [١٧]: وَهَلْ رَامَ عَنْ عَهْدِي وُدَيْكٌ مَكَانَهُ...).

(٢) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٤١، (– قافية الدَّال/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [١٦]: لِمَنْ دِمْنَةٌ أَقْوَتْ بِحَرَّةِ ضَرْغَدِ...).

والماثل، في المقطوعة السَّابقة، يندرج ضمن الفخر الذَّاتيّ بأخلاق السِّيادة؛ إذ أرسله الهُيام المتَعطِّش للمرأة إلى إبانة السِّمات الرَّاسخة في سادة القبيلة، وهو أحدهم؛ من: تقبُّل الرَّأي، والاستماع للنُّصح، والإصغاء للإرشاد؛ في إيحاءٍ بالغٍ بأهمِّيَّة التَّآزر الفكريّ في حلِّ المعضلات الدَّاخليَّة والخارجيَّة؛ بالإضافة إلى الذَّود عن حياض القبيلة باللِّسان واليد، والصَّفح عن جاهلها، وحماية ذمارها، وقمع مُتَهدِّدها، وهو المنْزَل في مكان الفضل والعزِّ والرِّفادة والسِّيادة؛ ولهذا كلِّه أن يرتبط بالتَّأصيل الفعليّ الواقعيّ، دون الأماني المضَلِّلة.

ويُؤصِّل عَبِيد، بذلك، لمؤهِّلات السِّيادة في المجتمع الجاهليّ؛ ذلك أنَّه "يُشترَط للسَّيِّد أن يسوس قومه بالشُّورى، وأن يتحاشى ذمَّ العشيرة، وأن يدفع عنها باللِّسان والسِّنان، وأن يصفح عن الجاهل، وأن يرعاها، ويذلَّ أعداءها، ويرفع شأنها؛ وبالجملة أن يكون قادرًا على الأخذ بيدها نحو حياةٍ أفضل"(١).

(١) الانتماء في الشِّعر الجاهليّ، د. فاروق أحمد اسليم، اتِّحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، (د. ط)، (١٩٩٨م)، ص٢٩٨، (- الفصل الرَّابع: الانتماء الاجتماعيّ والسِّياسيّ/ ٢ – السَّادة والمستضعفون/ ١ – سادة ومَسُودون).

ويتَّجه الشَّاعر عقب النُّكران إلى الإثبات اليقينيّ، في خطاب الثَّبات، المرتكِز على المبادئ المثاليَّة، والخصال الفُضْلى، المؤَطَّرة بالمسلكيَّات الأخلاقيَّة الاجتماعيَّة، قائلًا(١):

[من الطَّويل]

لَعَمْرُكَ مَا يَخْشَى الْخَلِيطُ تَفَحُّشِي عَلَيْهِ وَلا أَنْأَى عَلَى الْمُتَوَدِّدِ
وَلا أَبْتَغِي وُدَّ امْرِئٍ قَلَّ خَيْرُهُ وَلا أَنَا عَنْ وَصْلِ الصَّدِيقِ بِأَصْيَدِ
وَإِنِّي لأُطْفِي الْحَرْبَ بَعْدَ شُبُوبِهَا وَقَدْ أُوقِدَتْ لِلغَيِّ فِي كُلِّ مَوْقِدِ
فَأَوْقَدْتُهَا لِلظَّالِمِ الْمُصْطَلِي بِهَا إِذَا لَمْ يَزَعْهُ رَأْيُهُ عَنْ تَرَدُّدِ
وَأَغْفِرُ لِلْمَوْلَى هَنَاةً تُرِيبُنِي فَأَظْلِمُهُ مَا لَمْ يَنَلْنِي بِمَحْقِدِي
وَمَنْ رَامَ ظُلْمِي مِنْهُمُ فَكَأَنَّمَا تَوَقَّصَ حِينًا مِنْ شَوَاهِقِ صِنْدِدِ
وَإِنِّي لَذُو رَأْيٍ يُعَاشُ بِفَضْلِهِ وَمَا أَنَا مِنْ عِلْمِ الأُمُورِ بِمُبْتَدِي

ويكون لاستهلال المقطوعة الشِّعريَّة بالقسم الصَّريح؛ ترسيخٌ لمخالقة: الخَلِيط، والمتَودِّد، والممسِك، والصَّديق، والمولى، والظَّالم؛ بعدم خشية التَّفحُّش، وانتفاء الصَّدِّ، ونكران الحرص، وتواضع الوصل، وغفران الزَّلة،

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٤١، (- قافية الدَّال/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [١٦]: لِمَنْ دِمْنَةٌ أَقْوَتْ بِحَرَّةِ ضَرْغَدِ...).

ومجابهة الظُّلم؛ كيما يتجلَّى الإخبار، في المنتهى، مشتملًا بالتَّوكيد؛ على جهة توثيق عُرى الحكمة بسداد الرَّأي، وفرادة المنطق.

وتُقدِّم اللَّوحة السَّابقة النَّمذجة المثاليَّة للفارس العربيّ؛ "وإذا تأمَّلنا نموذج الفارس الملتزم بقضايا قومه ومجتمعه؛ نجد أنَّ الشَّاعر، في إطار الفروسيَّة الملتزمة، يُقدِّم الصُّورة الَّتي تبهر قومه، وتُؤكِّد مكانته وتَميُّزه، وتُعمِّق إحساس المجتمع بمكانته، وبما يُمثِّله من قيمٍ"(١).

ويستبين الفخر الذَّاتيُّ، تاليًا، من خلال الحكمة الشِّعريَّة؛ المنبئة عن الحالة المسلكيَّة الرَّاسخة في أخلاق عَبِيد، حيث يقول(٢):

[من الطَّويل]

إِذَا أَنْتَ حَمَّلْتَ الْخَؤُونَ أَمَانَةً ... فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرَّ مُسْنَدِ

وَجَدْتُ خَؤُونَ الْقَوْمِ كَالْعُرِّ يُتَّقَى ... وَمَا خِلْتُ غَمَّ الْجَارِ إِلَّا بِمَعْهَدِي

وَلَا تُظْهِرَنْ حُبَّ امْرِئٍ قَبْلَ خُبْرِهِ ... وَبَعْدَ بَلاءِ الْمَرْءِ فَاذْمُمْ أَوِ احْمَدِ

وَلَا تَتْبَعَنَّ رَأْيَ مَنْ لَمْ تَقُصَّهُ ... وَلَكِنْ بِرَأْيِ الْمَرْءِ ذِي اللُّبِّ فَاقْتَدِ

وَلَا تَزْهَدَنْ فِي وَصْلِ أَهْلِ قَرَابَةٍ ... لِذُخْرٍ وَفِي وَصْلِ الأَبَاعِدِ فَازْهَدِ

وَإِنْ أَنْتَ فِي مَجْدٍ أَصَبْتَ غَنِيمَةً ... فَعُدْ لِلَّذِي صَادَفْتَ مِنْ ذَاكَ وَازْدَدِ

---

(١) الأدب الجاهليّ؛ قضايا، وفنون، ونصوص، يوسف، ص٧٩.

(٢) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٤١، ٤٢، (- قافية الدَّال/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [١٦]: لِمَنْ دِمْنَةٌ أَقْوَتْ بِحَرَّةِ ضَرْغَدِ...).

تَـزَوَّدْ مِـنَ الدُّنْيَـا مَتَاعًـا فَإِنَّـهُ عَلَى كُـلِّ حَـالٍ خَيْـرُ زَادِ الْمُـزَوِّدِ
تَمَنَّى مُـرَيءُ الْقَيْسِ مَوْتِي وَإِنْ أَمُـتْ فَتِلْكَ سَبِيـلٌ لَسْـتُ فِيهَـا بِأَوْحَـدِ
لَعَـلَّ الَّذِي يَرْجُـو رَدَايَ وَمِيتَتِـي سَفَاهًـا وَجُبْنًـا أَنْ يَكُـونَ هُـوَ الرَّدِي
فَمَا عَيْشُ مَنْ يَرْجُو هَلَاكِي بِضَائِرِي وَلَا مَوْتُ مَنْ قَدْ مَاتَ قَبْلِي بِمُخْلِدِي

...

وللمقطع الأخير من القصيدة، أن يُكثِّف المنظومة الأخلاقيَّة، الَّتي احتكم إليها عَبِيد، في جملةٍ من القضايا الحياتيَّة المفصليَّة؛ بدعوته إلى: مجانبة الخَوُون الجَرِب، وعدم إظهار حُبِّ امرئٍ قبل اختباره، وبلاء المرء قبل الذَّمِّ والحمد، والاقتداء برأي اللَّبيب المعهود، ووصل الأقارب والزُّهد في الأباعد، والازدياد من أبواب المجد الَّتي أصاب المرء غنيمتها، والتَّزوُّد من الدُّنيا بكُلِّ خيرٍ، وللشَّاعر، في إثر ذلك، وقفة المسْتجلِي مُنْيَة امرئ القيس له بالموت، المدْرِك كلَّ البشر، على نحوٍ مكتوبٍ مُقَدَّرٍ، لا يفرُّ معه الرَّاجي والمرجوُّ له من الأجل المحتوم.

ويطالعنا الشَّاعر بفخريَّته الأخلاقيَّة، عقب الوصف المطريّ، والفخر بالبراعة الشِّعريَّة، وفي استهلالها القسم المعَزَّز بالإخبار الاسميّ المؤَكَّد؛ لدلالتي: الرُّسوخ، والثَّبات، قائلًا[1]:

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٥٧، (- قافية الصَّاد/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٢٤]: أَقِفْتُ لِضَوْءِ بَرْقٍ فِي نَشَاصِ...).

[من الوافر]

لَعَمْـرُكَ إِنّــي لأُعِــفُّ نَفْسِــي وَأَسْتُـرُ بِالتَّكَرُّمِ مِــنْ خَصَـاصِ
وَأُكْـرِمُ وَالِدِي وَأَصُـونُ عِرْضِـي وَأَكْـرَهُ أَنْ أُعَــدَّ مِــنَ الْحِرَاصِ
إِذَا مَـا كُنْـتَ لَحَّاسًـا بَخِيــلًا سَــؤُولًا لِلْمُطَـاعِ وَذَا عِقَــاصِ
لِزَادِ الْمَــرْءِ آبَـصَ مِــنْ عُقَـابٍ وَعِنْدَ الْبَابِ أَثْقَلَ مِنْ رَصَاصِ
بَكَى الْبَوَّابُ مِنْكَ وَقَالَ: هَلْ لِي وَهَلْ لِلْبَابِ مِنْ ذَا مِنْ خَلاصِ
فَيُوشِـكُ أَنْ يَـرَاكَ لَــهُ عَــدُوًّا عَـدَاوَةَ مَـنْ يُلاطِـمُ أَوْ يُنَاصِـي
إِذَا مَـا كَـانَ عِرْضِي عِنْدَ بَطْنِـي فَأَيْـنَ مِـن انْ أُسَبَّ بِـهِ مَنَاصِي
فَإِنْ خَفَّتْ جُوعِ الْبَطْـنِ رِجْلِي فَـدَقَّ اللهُ رِجْلِــي بِالْمُعَــاصِ

ويتمحور الخطاب الشِّعريُّ، في إطار ارتقاء الأخلاق، الَّذي أوحى بمُؤشِّرات السُّمُوِّ الرُّوحيّ؛ في سياقات: عفَّة النَّفس مع العَوَز، وكرم البذل رغم الخصاصة، فضلًا عن إكرام الوالد، وصيانة العِرْض، وانتفاء البخل، وعدميَّة التَّبذُّل، الَّتي كانت موطن العناية، في الالتفات الشِّعريّ؛ المحِيل إلى تصوير السَّلب؛ على جهات: لعق وعاء الطَّعام، واقتناص أرزاق النَّاس، والمكوث عند الأبواب للسُّؤال؛ ممَّا يستدعي بكاء "البَوَّاب" وعداوته؛ ولهذا المتَّكأ الأسلوبيّ أن يُؤسِّس لمؤدَّى اللَّوحة؛ الكامن في إنكار انتهاك العِرْض بجوع البطن؛ على ما في الشَّرطيَّتَيْن الأخيرتَيْن من إيحاء الانتفاء؛ الَّذي يستحيل معه الدُّعاء بداء الرِّجْل؛ نبذًا لسقوط الذَّات، في شَرَك لذائذ الموائد.

ونستوحي من فضاء الأطروحة الشِّعريَّة السَّابقة؛ أنَّه "يمكن القول بوجود طبقةٍ من الفقراء، في مواجهة طبقة الأغنياء، في المجتمع الجاهليّ، وبأنَّ انتقال بعض النَّاس من طبقةٍ إلى أخرى كان كثيرًا ومباغتًا حدوثه، ومن الظَّاهر أنَّ انقسام النَّاس إلى طبقتين: فقراء، وأغنياء، وتلقِّي بعض الفقراء مساعداتٍ من أناس بعيد نسبهم؛ من الأدلَّة على أنَّ إضافة الانتماء الطَّبقيّ على الانتماء النَّسبيّ قد طوَّر الأخير؛ إذ سمح بالتَّواصل بين الجماعات المتباعدة، وبوجود اهتماماتٍ للفرد الجاهليّ، تتجاوز إطار قبيلته لتلتقي مع قبائل أخرى؛ فالفقراء كانوا لفقرهم يستشعرون الذُّلَّ والهوان؛ فارتضى بعضهم أن يسأل الأغنياء أعطوه أو منعوه، وأبى بعضهم أن يسأل تعفُّفًا وتكرُّمًا"(١).

ويبتني عَبِيد طريقته الخاصَّة في مخالقة العدوّ؛ القائمة على ذكاء الإدارة التَّفاعليَّة، في حالتي: اللِّين، والشِّدَّة؛ فاللِّين يكون حين لينه؛ والشِّدَّة المتبوعة بالمِطْل دواء التَّشدُّد؛ حتَّى إخضاعه لأدنى مراتب الطَّلب، حيث يقول(٢):

[من الطَّويل]

أَلِيـنُ إِذَا لانَ الْغَرِيـمُ وَأَلْتَـوِي إِذَا اشتَدَّ حَتَّى يُدْرِكَ الدَّيْنَ قَاتِلِي

وَأَمْطُلُـهُ الْعَصْرَيْـنِ حَتَّـى يَمَلَّنِـي وَيَرْضَى بِبَعْضِ الدَّيْنِ فِي غَيْرِ نَائِلِ

---

(١) الانتماء في الشِّعر الجاهليّ، اسليم، ص٣٢١، (الفصل الرَّابع: الانتماء الاجتماعيّ والسِّياسيّ/ ٢ – السَّادة والمستضعفون/ ٢ – فقراء وأغنياء).

(٢) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٨٦، ٨٧، (– قافية اللَّام/ – فاتح المقطوعة الشِّعريَّة [٣٨]: أَلِينُ إِذَا لَانَ الْغَرِيمُ وَأَلْتَوِي...).

بيد أنَّ الوجهة التَّنميطيَّة للفخر الأخلاقيّ نزَّاعةٌ إلى الضِّدِّ في زمن الشَّباب، على خلاف ما بدا سابقًا حالةً من التَّزهُّد الدُّنيويّ، والارتقاء الخُلُقيّ، مع تطاول العمر، وهذا ما نلمسه في غير موطنٍ من ديوان عَبِيد، الَّذي استدرك على قفر الأطلال، ورحيل المعشوقة، بإضاءة لهو الشَّباب؛ في نطاقي: الخمر، والمرأة؛ وِفَاقًا لمكمن الدَّافع، ومُؤَدَّى التَّراتُب؛ وفي الأوَّل تتموقع أطروحة الفنّ في تخصيب الموات بفورة الشَّباب؛ أمَّا الثَّاني فحالةٌ تمثُّليَّةٌ عموديَّةٌ، للنَّمط التَّقليديّ البنائيّ، في القصيدة الجاهليَّة، بالانتقال من جلال الطَّلل، إلى قصديَّة الحياة والنَّماء، بغير سبيلٍ مضمونيّ، متَّخذًا من التَّوصيف الحيوانيّ، ثمَّ الطَّابع الفخريّ، مُستَندًا تعبويًّا للمساحات التَّعبيريَّة المترابطة في القصيدة؛ على ما في الفخر من مفارقة فَوْرة اللَّهو، وحكمة السِّيادة.

ونقرأ، من هذا القبيل، قول الشَّاعر في المقطوعة اللَّاحقة؛ المشرِقة بالموَازاة البنائيَّة؛ بين مضامين: الخمر، والمرأة، والكبر، على ما في ثناياها من الفخر المبَطَّن، في زمني: التَّحرُّر، والتَّعفُّف[1]:

[من البسيط]

وَلَهْوَةٍ كَرُضَابِ الْمِسْكِ طَالَ بِهَا فِي دَنِّهَا كَرُّ حَوْلٍ بَعْدَ أَحْوَالِ

بَاكَرْتُهَا قَبْلَ مَا بَدَا الصَّبَاحُ لَنَا فِي بَيْتِ مُنْهَمِرِ الْكَفَّيْنِ مِفْضَالِ

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٧٦، ٧٧، (- قافية اللَّام/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣٣]: يَأْ دَارَ هِنْدٍ عَفَاهَا كُلُّ هَطَّالِ...).

وَعَبْلَــةٍ كَمَهَــاةِ الجْــوِّ نَاعِمَــةٍ كَــأَنَّ رِيقَتَهَــا شِيبَــتْ بِسَلْسَــالِ
قَـدْ بِـتُّ أُلْعِبُهَـا وَهْنًـا وَتُلْعِبُنِـي ثُـمَّ انصَرَفْتُ وَهِـيْ مِنِّـي عَلَى بَـالِ
بَـانَ الشَّبَـابُ فَآلـى لا يُلِـمُّ بِنَـا وَاحْتَلَّ بِي مِنْ مُلِمِّ الشَّيْبِ مِحْلالِ
وَالشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَـنْ يَحْتَلُّ سَاحَتَهُ للهِ دَرُّ سَــوَادِ اللِّمَّــةِ الْخَـالِـي

ويمكن التماس هذا النَّمط الفخريّ المؤَطَّر بالذَّات، في مواطنَ مختلفةٍ من ديوان الشَّاعر؛ على ما في موقعيَّتها من اعتلاقٍ واضحٍ بالمطالع والخواتم؛ وما لمضامينها من صلةٍ وثيقةٍ بالمؤَشِّرات الأخلاقيَّة العامَّة(١).

***

(١) يُنظَر: ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٣١؛ ٧٨ – ٨٠؛ ٨١، ٨٢؛ ٩٧.

– ٢. ٣: التَّنميط الشِّعريُّ.

تمظهرت الأنا الشِّعريَّة عند عَبِيد، في موطنين اثنين من ديوانه؛ تراكمت فيهما سمات الأهليَّة الفنِّيَّة الشِّعريَّة؛ بسبيلي: تفوُّق البناء، وصدارة المضمون، مع توظيف العنصر التَّصويريّ، في الأطر المشهديَّة المستلَّة من عالم الحيوان؛ لترسيخ المِكْنة الشِّعريَّة في فنون القول بعامَّةٍ، وهجائيَّات الخصومة بخاصَّةٍ.

وقد تبدَّت الفخريَّة الشِّعريَّة الأولى؛ بين: استهلال الوصف المطريّ، والفخر بالأخلاق الذَّاتيَّة، وفيها يقول الشَّاعر(١):

[من الوافر]

سَلِ الشُّعَرَاءَ هَلْ سَبَحُوا كَسَبْحِي ... بُحُورَ الشِّعْرِ أَوْ غَاصُوا مَغَاصِي

لِسَانِي بِالْقَرِيضِ وَبِالْقَوَافِي ... وَبِالأَشْعَارِ أَمْهَرُ فِي الْغَوَاصِ

مِنَ الْحُوتِ الَّذِي فِي لُجِّ بَحْرٍ ... يُجِيدُ السَّبْحَ فِي اللُّججِ الْقِمَاصِ

إِذَا مَا بَاصَ لاحَ بِصَفْحَتَيْهِ ... وَبَيَّضَ فِي الْمَكَرِّ وَفِي الْمَحَاصِ

تُلاوِصُ فِي الْمَدَاصِ مُلاوِصَاتٌ ... لَهُ مَلْصَى دَوَاجِنَ بِالْمِلاصِ

بَنَاتُ الْمَاءِ لَيْسَ لَهَا حَيَاةٌ ... إِذَا أَخرَجْتَهُنَّ مِنَ الْمَدَاصِ

إِذَا قَبَضَتْ عَلَيْهِ الْكَفُّ حِينًا ... تَنَاعَصَ تَحْتَهَا أَيَّ انْتِعَاصِ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٥٦، (– قافية الصَّاد/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٢٤]: أَقِفْتُ لِضَوْءِ بَرْقٍ فِي نَشَاصِ...).

وَبَاصَ وَلاصَ مِـنْ مَلَـصٍ مَلاصٍ وَحُـوتُ الْبَحْـرِ أَسْـوَدُ أَوْ مِلاصُ
كَلَـوْنِ الْمَـاءِ أَسْـوَدُ ذُو قُشُـورٍ نُسِجْـنَ تَلاحُـمَ السَّـرْدِ الـدِّلاصِ

ويمكن استنطاق اللَّوحة السَّابقة، في مدارسةٍ مضمونيَّةٍ أسلوبيَّةٍ؛ توحي بالتَّنوُّع التَّعبيريّ والأسلوبيّ؛ لغاية المحَاجَّة بالمنطق، في شأن الصَّدارة الفنِّيَّة الشِّعريَّة؛ فعَبِيد يستهلُّ القول بالإنشاء الآمر، ثمَّ بالاستفهام الإنكاريّ؛ والفحوى صدارة الموازنة المرتكزة على مُقَوِّمي: البحر الشِّعريّ، وابتكار المعنى؛ ليكون الإخبار، تاليًا، تعضيدًا للمُكَثَّف السَّابق؛ على طريقة توصيف تفرُّد المعنى والصُّورة؛ بثُبوتيَّة الدَّوالِّ الاسميَّة؛ على المهارة العالية في ابتكار المعنى الشِّعريّ، وتعزيز مشهديَّة التَّصوير، للقدرة التَّعبيريَّة الغرضيَّة؛ ذلك أنَّ للحوت مُكْنة إجادة المخاتلة في المكَرّ والمفَرّ، حين يكون في مَغَاصِه المائيّ، فإذا ما أُخرِج تحرَّك وتنحَّى؛ لغايتي: الاستتار، والتَّوقِّي، مستغلًّا زلاقته القشريَّة، الشَّبيهة بحلقات الدِّرع المتلاحمة الملساء.

والجليُّ من اللَّوحة الشِّعريَّة ترابطها الأسلوبيُّ الممنهج بغير سبيلٍ؛ فقد جرى الأسلوب التَّعبيريُّ على حضور الإنشاء ثمَّ الإخبار، مع غلبة الثَّاني، وتنوُّع طرائقهما؛ كما أسهمت الشَّرطيَّات في البناء المشهديّ الحركيّ، على نحوٍ فاعلٍ؛ ورسَّخت مظاهر الجناس والتَّكرار مضامين اللَّوحة؛ وأوحت فخامة الصَّاد في رويّ الأبيات وثناياها بفخامة الفخر الشِّعريّ، على ما في الصَّفيريَّة من قيمةٍ تنبيهيَّةٍ للمُتَلقِّي؛ لتُجسِّد الملامح الكُلِّيَّة للَّوحة ترميزًا تصويريًّا مُوَازِيًا

للدُّون الشِّعريّ في مقابل صدارة عَبِيد؛ بينما حضر الرَّابط الإحيائيُّ في مبنى القصيدة، بين مشهدي: المطر، والفخر؛ بقوام الحياة الماثل في الماء.

وتنبني الفخريَّة الشِّعريَّة الثَّانية على غرضيَّة الهجاء، عقب وصف الظَّعائن؛ في ملمحٍ تعويضيٍّ نفسيٍّ عن الرَّحيل المؤلم المقترن بدواعي السُّكون؛ بأطروحة الصَّدارة الشِّعريَّة؛ في تحقيق الأثر الهجائيّ التَّرهيبيّ، وفي ذلكم يقول عَبِيد[1]:

[من الطَّويل]

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ قَدْ ثَنَيْتُ عَلَيْهِمُ ... رِدَائِي وَفِي شَمْسِ النَّهَارِ دُحُوضُ

أَلَسْتُ أَشُقُّ الْقَوْلَ يَقْذِفُ غَرْبُهُ ... قَصَائِدَ مِنْهَا آبِنٌ وَهَضِيضُ

أُغِصُّ إِذَا شَغْبَ الأَلَدِّ بِرِيقِهِ ... فَيَنْطِقُ بَعْدِي وَالْكَلامُ خَفِيضُ

وَكَمْ مِنْ أَخِي خَصْمٍ تَرَكْتُ وَمَا بِهِ ... إِذَا قُلْتُ فِي أَيِّ الْكَلامِ نُحُوضُ

فَوَلَّيْتُ ذَا مَجْدٍ وَأُعْطِيتُ مِسْحَلًا ... حُسَامًا بِهِ شَغْبُ الأَلَدِّ نُهُوضُ

قَطَعْتَ بِهِ مِنْكَ الْحَوَامِلَ فَانْبَرَتْ ... فَمَا بِكَ مِنْ بَعْدِ الْهِجَاءِ نُهُوضُ

صَقَعْتُكَ بِالْغُرِّ الأَوَابِدِ صَقْعَةً ... خَضَعْتَ لَهَا فَالْقَلْبُ مِنْكَ جَرِيضُ

صَلِيتُمْ بِلَيْثٍ مَا يُرَامُ عَرِينُهُ ... أَبِي أَشْبُلٍ بَعْدَ الْعِرَاكِ عَضُوض

إِذَا مَا بَدَا ظَلَّتْ لَهُ الأُسْدُ عُكَّفًا ... فَهُنَّ حِذَارَ الْمَوْتِ مِنْهُ رُبُوضُ

تَرَى بَيْنَ مَوْقُوصٍ تَغَطْمَطَ فِي الرَّدَى ... وَذِي رَغْبَةٍ يَرْجُو الْحَيَاةَ نَحِيضُ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٦٠، ٦١، (- قافية الضَّاد/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٢٥]: تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ...).

والبادي، في الأبيات السَّابقة، حرص الشَّاعر على حسم السُّمُوِّ الذَّاتيّ، في باب المنافرة الهجائيَّة الشِّعريَّة؛ على ما في الأسلوب من فاتح الاستفهام التَّقريريّ؛ المؤَكِّد قيمتي: القدرة الفائقة على القول الشِّعريّ الحادِّ، ومُكْنة هجائه في نطاقي: دقَّة التَّعييب، وتحقُّق الإيلام والتَّحطيم؛ ليمضي الإخبار على نهج ترسيخ الجدل الفوقيّ، في المصاولة الشِّعريَّة، المحتكمة إلى ضوابط المناظرة، تاركًا للخصم الألدِّ الاسترسال في اللَّغط؛ لغاية الانقضاض عليه تاليًا؛ ليكون لمنطوقه اللَّاحق الخفيض دلالات: الدُّون، والذُّلّ، والصَّغار.

أمَّا الإخبار الكمِّيُّ ثمَّ الفعليُّ؛ فينقلنا إلى مساحةٍ أخرى من خطاب الفخر؛ بتأطير الصُّورة المشهديَّة، لأُمثُولة الأثر الهجائيّ النَّفسيّ والعضويّ، بمُتَّكأ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وإنْ كان الخصم على حال السَّلامة، قبل شروع القدح واللَّوم؛ فلغاية تحقيق الإيلام باللِّسان الشِّعريّ السَّاحق، في تجلٍّ واضحٍ للمجاز والكناية؛ ممَّا يحيل المهجوَّ إلى بتر الأقدام؛ للدَّلالة على عدميَّة النُّهوض، وضرب الرَّأس بالأوابد الشِّعريَّة حتَّى موت القلب؛ لإيحاء الرُّكود الأبديّ اللَّاحق بالخصم.

ويتَّخذ عَبِيد، في إثر ذلك، مُتَّخذ الخطاب الجمعيّ؛ للتَّهديد بارتقاء جدارته الهجائيَّة، مستعيرًا لذاته هيئة الأسد الهَصُور، ولخصومه صورة الأُسْد الهزيلة، الَّتي بقيت رابضةً دون حراكٍ؛ حذر الموت، وقد انقسمت إلى فريقين: أحدهما غارقٌ في الرَّدى، والآخر راغبٌ في الحياة مع المذلَّة.

– ٣: التَّنميط الفخريُّ الحماسيُّ الجمعيُّ.

– ٣. ١: التَّنميط الفروسيُّ.

حرص عَبِيد على تجلية الطَّابع الفروسيّ، في فخريَّاته الجمعيَّة ببني أسد؛ من خلال بيان أركانه؛ الماثلة في: قُوَّة الفارس، وعدَّة القتال، ومطيَّتي الحرب: النَّاقة، والفرس؛ فضلًا عن ترسيخ سمات: الحماية، والشَّجاعة، والجرأة، والشِّدَّة، والإقدام؛ لتُشكِّل، معًا، نمطًا فريدًا للحالة الفروسيَّة القبليَّة.

وتمضي الفخريَّة الفروسيَّة الجمعيَّة؛ لترسيخ السِّمات المثاليَّة في الفارس والفرس، من قبيل قول الشَّاعر في مواجهة "بني جَدِيلَة"(١):

[من الكامل]

بَلْ لا مَحَالَةَ مِنْ لِقَاءِ فَوَارِسٍ كَرَمٍ مَتَى يُدْعَوا لِرَوْعٍ يَرْكَبُوا

شُمٍّ كَأَنَّ سَنَا الْقَوَانِسِ فَوْقَهُمْ نَارٌ عَلَى شَرَفِ الْيَفَاعِ تَلَهَّبُ

تَمْشِي بِهِمْ أُدْمٌ تَئِطُّ نُسُوعُهَا خُوصٌ كَمَا يَمْشِي الْهِجَانُ الرَّبْرَبُ

وَهُمُ قَدِ اتَّخَذُوا الْحَدِيدَ حَقَائِبًا وَخِلالَهُمْ أُدْمُ الْمَرَاكِلِ تُجْنَبُ

مِنْ كُلِّ مَمْسُودِ السَّرَاةِ مُقَلَّصٍ قَدْ شَفَّهُ طُولُ الْقِيَادِ وَأَلْغَبُوا

وَطِمِرَّةٍ كَالسِّيدِ يَعْلُو فَوْقَهَا ضِرْغَامَةٌ عَبْلُ الْمَنَاكِبِ أَغْلَبُ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٢٠، ٢١، (– قافية الباء/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣]: أُنْبِئْتُ أَنَّ بَنِي جَدِيلَةَ أَوْعَبُوا...).

فلا مفرَّ للأعداء من لقاء الفوارس الكرام الشُّجعان، الَّذين يلبُّون نداء داعي الحرب؛ فيركبون خيولهم مقبلين على النِّزال دون وجلٍ، وهم الَّذين يشبه بريق "القَوَانِس" على رؤوسهم نارًا كائنةً على مرتفعٍ من الأرض، ويكون التَّفصيل، تاليًا، لمطاياهم وعدَّتهم؛ ممثَّلةً في الإبل البيضاء، غائرة العيون، مُوثَّقة الخَلق، حثيثة السَّير، وهي المشَبَّهة بقطيع البقر الوحشيّ، والفرس الكريمة الشَّبيهة بالذِّئب في سمتي: السُّرعة، والمراوغة، وقد امتطاها الفارس عظيم المنكبين والرَّقبة؛ كنايةً عن القُوَّة والشِّدَّة، والفرسان على ركائبهم احتقبوا الدُّروع الحديديَّة المتينة؛ واللَّوحة بتأسيسها التَّعبيريّ الإخباريّ، وقيمها التَّصويريَّة البلاغيَّة، تضيء تفاصيل مشهد الإعداد الفروسيّ للقتال؛ من جهات: الإنسان، والحيوان، والعتاد.

ويقف عَبِيد على الفروسيَّة الجمعيَّة، في إثر الطَّلل والنَّسيب؛ لتتجلَّى ملامح: الإقدام، والبسالة، والتَّحدِّي، في أخلاق فوارس القبيلة، المنافحين عن حماها، حيث يقول(١):

[من الخفيف]

إِنَّنَا إِنَّمَا خُلِقْنَا رُؤُوسًا ... مَنْ يُسَوِّي الرُّؤُوسَ بِالأَذْنَابِ

لَا نَقِي بِالأَحْسَابِ مَالًا وَلَكِنْ ... نَجْعَلُ الْمَالَ جُنَّةَ الأَحْسَابِ

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٢٤، ٢٥، (- قافية الباء/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٤]: لِمَنِ الدَّارُ أَقْفَرَتْ بِالْجَنَابِ...).

وَنَصُـدُّ الأَعْـدَاءَ عَنَّـا بِضَـرْبٍ ذِي خِـذَامٍ وَطَعْنِنَـا بِالْحِـرَابِ
وَإِذَا الْخَيْلُ شَمَّرَتْ فِي سَنَا الْحَرْ بِ وَصَارَ الْغُبَارُ فَوْقَ الذُّؤَابِ
وَاسْتَجَارَتْ بِنَـا الْخُيُـولُ عِجَـالًا مُثْقَـلاتِ الْمُتُـونِ وَالأَصْـلابِ
مُصْغِيَاتِ الْخُدُودِ شُعْثَ النَّوَاصِي فِـي شَمَاطِيـطِ غَـارَةٍ أَسْـرَابِ
مُسْرِعَـاتٍ كَأَنَّهُـنَّ ضِـرَاءٌ سَمِعَتْ صَـوْتَ هَاتِـفٍ كَـلَّابِ
لاحِقَاتِ الْبُطُـونِ يَصْهِلْنَ فَخْـرًا قَدْ حَوَيْنَ النِّهَابَ بَعْدَ النِّهَابِ

وتكمن الفخريَّة الفروسيَّة في تلافيف اللَّوحة؛ من خلال الإخبار المشبع بالضَّمائر الجمعيَّة، وفي الاستهلال يقع التَّباين الأسلوبيُّ بين: الإخبار المؤَكَّد المحصور، والإنشاء الاستفهاميّ التَّقريريّ؛ لمؤَدًّى معنويٍّ منسجمٍ مع غائيَّة اللَّوحة في تأكيد أهليَّة السِّيادة، الخليقة بقبيلة عَبِيد دون سواها، الَّتي كانت على مثال الرَّأس في عُلُوِّه على الذَّنب، وللفروسيَّة أن تتجلَّى، تاليًا، في المباينة التَّركيبيَّة بين النَّفي والإثبات؛ على ما في أخلاق الفرسان من إجلال الأحساب بالحماية والوقاية، وإنْ استدعى الأمر بذل نفيس المال، ثمَّ يكون للفعل الفروسيّ داخل الميدان إخبار المضارعة؛ الموحي بديمومة الفعل والتَّحفُّز؛ وبهما يكون صدُّ الأعداء ديدنًا، يُتَوسَّل بالسَّيف القاطع والحراب الحادِّ.

وتتصدَّر الخيل المشهد التَّصويريَّ؛ ليتوارى فرسان القبيلة في ظلال اللَّوحة؛ على ما في الصُّعود التَّعبيريّ من مُؤَشِّر اشتداد النِّزال الدَّامي؛ المَبَدِّي في حماسة الجياد حين التماع السُّيوف في أرض المعركة، وقد بدا الغبار على نواصي الجياد

الملتئمة في فرقٍ متلاحقةٍ، الضَّامرة المسرعة على طريقة كلاب الصَّيد المتَحفِّزة بنداء صاحبها، الصَّاهلة فخرًا بتحقُّق النَّصر والغُنْم، مرَّةً في إثر أخرى.

ويُعمِّق الشَّاعر خطابه في دائرة الفعل الفروسيِّ النَّاجز في ساحة النِّزال؛ على جهة التَّأسيس البنائيِّ المصَدَّر بالتَّفصيل الشَّرطيِّ المؤَكَّد، في إثر الوقوف المتَعجِّل على الأطلال، ومن ذلك قوله(١):

[من الكامل]

أَمَّا إِذَا كَانَ الطِّعَانُ فَإِنَّهُمْ ... قَدْ يَخْضِبُونَ عَوَالِيَ الْمُرَّانِ

أَمَّا إِذَا كَانَ الضِّرَابُ فَإِنَّهُمْ ... أُسْدٌ لَدَى أَشْبَالِهِنَّ حَوَانِي

أَمَّا إِذَا دُعِيَتْ نَزَالِ فَإِنَّهُمْ ... يَحْبُونَ للرُّكَبَاتِ فِي الأَبْدَانِ

فَخَلَدْتُ بَعْدَهُمُ وَلَسْتُ بِخَالِدٍ ... فَالدَّهْرُ ذُو غِيَرٍ وَذُو أَلْوَانِ

اللهُ يَعْلَمُ مَا جَهِلْتُ بِعَقْبِهِمْ ... وَتَذَكُّرِي مَا فَاتَ أَيَّ أَوَانِ

وتقع هذه المقطوعة الشِّعريَّة في دائرة الاستذكار الفخريِّ للماضي، بعد الوقوف الطَّلليِّ الباكي رحيل الإنسان؛ وحينها يكون لعَبِيد فعل الاستعادة التَّعويضيَّة، عن سوداويَّة الطَّلل، بالمحَفِّزات الفروسيَّة، للفخر الجمعيِّ، في متتالية الشَّرطيَّات؛ المؤَسِّسة للأقطاب الكُلِّيَّة: "الطِّعَان"، وَ"الضِّرَاب"،

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٩٩، (- قافية النُّون/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٤٧]: لِمَنِ الدِّيَارُ بِبُرْقَةِ الرَّوْحَانِ؟...).

وَ"النِّزَال"؛ على سُبُل: تخضيب الرِّماح بالدِّماء، وافتداء القوم لحمايتهم، والزَّحف للقاء أعداء القبيلة، وقد انصرف الشَّاعر عن ضميريَّة الغياب إلى جأر التَّكلُّم؛ وفيه خلوده بخلود فروسيَّة قبيلته، على ما في الزَّمان من تقلُّباتٍ عاصفةٍ؛ خلَّفت تشتُّت المتَذكَّر مع تطاول العمر، وعمق مرارة الرَّحيل.

ويُكرِّس عَبِيد فخريَّته الآتية لقيمة الحماية؛ بوصفها سمةً فروسيَّةً لافتةً عند أبناء قبيلته، مستهلًّا بها القصيد بقوله(١):

[من البسيط]

دَعَا مَعَاشِرَ فَاسْتَكَّتْ مَسَامِعُهُمْ ... يَا لَهْفَ نَفْسِيَ لَوْ تَدْعُو بَنِي أَسَدِ

تَدْعُو إِذًا حَامِيَ الْكُمَاةِ لا كَسِلًا ... إِذَا السُّيُوفُ بِأَيْدِي الْقَوْمِ كَالْوَقَدِ

لَوْ هُمْ حُمَاتُكَ بِالْمَحْمَى حَمَوْكَ وَلَمْ ... تُتْرَكْ لِيَوْمٍ أَقَامَ النَّاسَ فِي كَبَدِ

كَمَا حَمَيْنَاكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ شَطِبٍ ... وَالفَضْلُ لِلْقَوْمِ مِنْ رِيحٍ وَمِنْ عَدَدِ

ومكمن الخطاب قائمٌ على الضَّميريَّة الغيبيَّة؛ الَّتي تقف على منشود الآخر في نيل حماية الأسديِّين، وهم حُمَاة الكُمَاة حين يقع الضَّرب في النِّزال؛ فتكون السُّيوف كالنِّيران المتَّقِدة؛ أمَّا حمايتهم فمدعاةٌ للأمان الَّذي لا يُرَى بعده ضيقٌ، على أنَّ التَّمثيل بحماية "يوم النَّعْفِ"؛ واقعٌ في دائرة الاعتداد بالمسَبِّبات الَّتي أحرز القوم بها سمة الأفضليَّة؛ من: قُوَّةٍ قتاليَّةٍ، وعددٍ متكاثرٍ، وعتادٍ كافٍ.

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٣٣، (- قافية الدَّال/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [١١]: دَعَا مَعَاشِرَ فَاسْتَكَّتْ مَسَامِعُهُمْ...).

وتتمثَّل المفارقة المضمونيَّة في الفخريَّة الجمعيَّة، المقولة بين يدي الملك حُجر والد امرئ القيس، في مقام استعطاف الشَّاعر إيَّاه للرَّأفة بقومه، وقد أسر حُجر سادتهم وضربهم بالعصيِّ؛ فشاعت تسميتهم بعبيد العصا[1]، وفي ذلك يقول[2]:

[من الكامل]

يَا عَيْنِ فَابْكِي مَا بَنِي أَسَدٍ فَهُمْ أَهْلُ النَّدَامَةْ
أَهْلَ الْقِبَابِ الْحُمْرِ وَالـ ـنَّعَمِ الْمُؤَبَّلِ وَالْمُدَامَةْ
وَذَوِي الْجِيَادِ الْجُرْدِ وَالأَ سَلِ الْمُثَقَّفَةِ الْمُقَامَةْ

ويتبدَّى الإنشاء النِّدائيُّ فالآمر؛ لغاية بكاء السَّادة المأسورين في حضرة الملك حُجر؛ لاستعطاف قلبه، وقد أردفه الشَّاعر ببيانٍ مُكَثَّفٍ لخصال السِّيادة والفروسيَّة فيهم، على ما في سمات: الكرم، والنَّعيم، والتَّحفُّز القتاليّ الدَّائم بالجياد الجُرْد والرِّماح المقَوَّمة؛ من دلالةٍ كُلِّيَّةٍ على الطَّابع الفروسيّ، الَّذي اشتملت به القبيلة، في نطاق الخصال المثاليَّة لحالتي: السِّلم، والحرب، على أنَّ القيمة الفخريَّة اللَّافتة، هنا، تكمن في مقام الضَّعف لا القُوَّة؛ مِمَّا يعكس وَقْعَنة الخطاب في التَّعاطي مع حالة الأسر؛ باستظهار محامد القوم بين يدي ملك "كِنْدة".

---

(١) يُنظَر: ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٩٣.

(٢) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٩٣، (- قافية الميم/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٤٢]: يَا عَيْنِ فَابْكِي مَا بَنِي...).

– ٣. ٢: التَّنميط الأخلاقيُّ.

شملت لوحة الفخر، في منظومة الأخلاق، التَّبدِّيات الخيريَّة؛ في أُطُر: الحياة، والإسناد، والحكمة؛ لتتجسَّد المحامد الفضلى، والقيم المثاليَّة، بأفعال السَّادة والعامَّة، في عظيم الشَّدائد، على نهج الائتلاف الرُّوحيّ، المرَسِّخ تعاضد أفراد المجتمع، بكلِّ طبقاته؛ لتجاوز مختلف العقبات، وإدراك مفازة الفخر قبل الموت.

ويقف عَبِيد على السِّمات الأخلاقيَّة العامَّة لقبيلته؛ من خلال الدَّوالِّ الشِّعريَّة المكَثَّفة؛ الَّتي تحيل إلى تشكيل الصُّورة النَّمطيَّة الكُلِّيَّة للفخريَّة؛ بسبيل التَّقديم الوجدانيّ، المسْتنِد إلى فعل التَّذكُّر، ويقول في ذلك(١):

[من الطَّويل]

تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ بِمَلْحُوبِ فَقَلْبِي عَلَيْهِمْ هَالِكٌ جِدُّ مَغْلُوبِ

تَذَكَّرْتُ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالْبَاعِ وَالنَّدَى وَأَهْلَ عِتَاقِ الْجُرْدِ وَالْبِرِّ وَالطِّيبِ

تَذَكَّرْتُهُمْ مَا إِنْ تَجِفُّ مَدَامِعِي كَأَنْ جَدْوَلٌ يَسْقِي مَزَارِعَ مخْرُوبِ

وترتكز مُقَوِّمات الاستهلال الشِّعريّ السَّابق، على التَّقديم الوجدانيّ السَّامي، الَّذي يسمو بفعل التَّذكُّر صوب خصال القبيلة المثاليَّة؛ لتسرية الألم الدَّفين المعتمر قلب الشَّاعر، وتشعُّ الذَّاتيَّة الفاعلة بالالتئام الشُّموليّ مع

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص١٧، (– قافية الباء/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٢]: تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ بِمَلْحُوبِ...).

المفعوليَّة القبليَّة؛ المَوصَّفة بالصَّلاح تارةً، والمضَافة إلى الخيريَّة تارةً أخرى، والمنْعتِقة من أيِّ قيدٍ توصيفيٍّ أو إضافيٍّ في تارةٍ ثالثةٍ؛ إذ الصَّلاح المنسجم مع المعاني الرُّوحيَّة والمسلكيَّة، دواء القلب المحزون بالفَقْد، والمغلوب بوَجْد الفراق؛ أمَّا الخيريَّة فتَقْدِمَةٌ لمتسلسلة: العطاء، والكرم، والفروسيَّة، والإحسان، والطِّيب، بينما يجيء التَّذكُّر خلوًا من التَّوصيف أو الإضافة؛ لغاية الإطلاق الذِّهنيِّ الإلحاقيِّ، المرْتكِز على كفاية (المفعول به: "هُمْ") بذاته، عن ذكر مزيد الخصال الحميدة؛ وفي الإطلاق التَّركيبيِّ فحوى الانطلاق البكائيِّ السَّيَّال، الشَّبيه بالجدول السَّاقي كُلَّ خَربٍ؛ ولعلَّها تروية الشَّاعر قَفْر المكان، ببكاء المحامد الإنسانيَّة؛ في مقابلة الجَدْب بالحياة، ومُوَازاة جسامة الفَقْد بمزيد الدُّموع/ الماء.

ويمكن الاستناد إلى الأبيات السَّابقة؛ في الإشارة إلى أنَّ "الإنسان الجاهليَّ بذل جهودًا مُنَظَّمَةً في مواطنَ كثيرةٍ؛ استهدفت الاستقرار الدَّائم بها؛ باستثمارها في مجالي: الزِّراعة، والبناء. والجهد الإنسانيُّ الجاهليُّ المبذول لتطوير أماكن استقرار الجاهليِّين، لا يقتصر على الزِّراعة والبناء، بل يتعدَّاهما إلى الصِّناعة اللَّازمة لتلبية مُتَطلَّبات الجاهليِّ؛ من: ثيابٍ، وطعامٍ، وشرابٍ، وسلاحٍ"[1].

(١) الانتماء في الشِّعر الجاهليِّ، اسليم، ص٢٠٧، (- الفصل الثَّالث: الانتماء المكانيّ/ ١ – القرار بالمكان/ ٤ – تطوير أماكن الاستقرار).

وتبعث الظَّعائن المعاني الشِّعريَّة، في الفخر الأخلاقيّ؛ انسجامًا مع دافع استذكار الماضي التَّليد؛ فينبري الشَّاعر لتعداد مآثر القوم، على مثال قوله[1]:

[من البسيط]

وَفِتْيَـةٌ كَلُيُـوثِ الْغَـابِ مِـنْ أَسَـدٍ ... مَـا لِلنَّدَى عَنْهُـمُ نَـزْحٌ وَلا شَحَـطُ

بِيضٌ بَهَالِيلُ يَنْفِي الْجَهْلَ حِلْمُهُمُ ... وَتَفْزَعُ الأَرْضُ مِنْهُم إِنْ هُمُ سَخِطُوا

إِذَا تَخَمَّـطَ جَبَّـارٌ ثَنَـوْهُ إِلَـى ... مَا يَشْتَهُونَ وَلا يُثْنَـوْنَ إِنْ خَمِطُـوا

وَالْفَارِجُو الْكَـرْبِ وَالْغُمَّى بِرَأْيِهِـمُ ... إِذَا تَشَابَهَـتِ الأَهْـوَاءُ وَالصُّـرُطُ

وَالْقَائِلُـو الْفَصْـلِ لا تَنْـآدُ طِينَتُهُـمْ ... وَمَـا لِقَوْلِهِـمُ خَلْـفٌ وَلا مَيَـطُ

وَالْخَالِطُو مُعْسِرٍ مِنْهُـم بِمُوسِرِهِـمْ ... وَأَكْـرَمُ النَّـاسِ مَطْرُوقًـا إِذَا اختُبِطُوا

مُرُّو اللِّقَاءِ وَمُبْقُو الْعَقْدِ إِنْ عَقَدُوا ... إِذَا أَضَـاعَ مِـنَ الْمِينَـاقِ مُشْتَـرِطُ

رُجْـحٌ إِذَا حَضَـرَ النَّـادِي حُلُومُهُـمُ ... وَفِيهِـمُ الزَّغْـفُ وَالْخَطِّـيُّ وَالزُّبُـطُ

وَالْمَشْرَفِيَّـةُ مَفْلُـولٌ ضَوَارِبُهَـا ... يَـوْمَ اللِّقَـاءِ وَأَيْـدٍ بِالنَّـدَى سَبِـطُ

لا يَحْسِبُونَ غِنًـى يَبْقَـى وَلا عَدَمًـا ... إِذَا رَأَى ذَاكَ مِنْهُـمْ مَعْشَـرٌ فُـرُطُ

والظَّاهر من النَّصِّ القيمة الشُّموليَّة في التَّوثيق الأخلاقيّ، للحالات التَّفاعليَّة الاجتماعيَّة، لتتربَّع القبيلة في موطن الصَّدارة، في زمني: السِّلم، والحرب؛ على إيحائيَّة الإخبار الاسميّ الغالب بالثَّبات النَّوعيّ لهاتيك

(١) ديوان عَبيد بن الأَبْرَص، ص٦٥، ٦٦، (- قافية الطَّاء/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٢٦]: بَانَ الْخَلِيطُ الأُلى شَاقُوكَ إِذْ شَحَطُوا...).

السِّـمات، المسـتهلَّة بتشـبيه الفتيـة الأشـدَّاء باللُّيـوث، مـع ترسـيخ تِقْنِيَّـة التَّشخيص اشتمالهم بالكرم الدَّائم، فضلًا عن: السَّماحة، والسِّيادة، والحِلْم، والغضـب، ثمَّ يُقـدِّم الشَّـرط المنفـتح علـى الاسـتقبال؛ قـيم: العِـزَّة، والأنفـة، والكبرياء، حين ينزل الجبابرة، دومًا، عند رأيهم، دون أن يخضعوا لأيٍّ منهم؛ بينما تأتي أسماء الفاعلين لتأكيد ثبات سمات: سداد الفكر، وتكاثر العطاء، والوفاء بالعهد؛ انسجامًا مع المقول السَّابق؛ وفيها فَصْل الخطاب في الملْتبِس المشْـكِل، دون خضـوعٍ أو ضـعفٍ، والكـرم السَّـائد في مختلـف الأحـوال والأزمان، والوضوح النَّاصع مع الآخر؛ في إطاري: الحرب والمجابهة، أو العهد والسَّلام.

وتقوم البنية المضمونيَّة، للبيتَيْن التَّاليَيْن، على التَّقابل التَّقاطعيّ، لحال الفتية في: السِّلم، والحرب؛ فإنْ كانوا على رجاحة العقل في المجالس؛ فلهم في الحرب كلمة الفعل الممهورة بالسَّيف والخيل، وحين تتجلَّى السُّيوف الضَّاربة في مقاتل الأعداء؛ تبسط أيادي الفرسان ذاتها تَقْدِمات كرمها لطالبها؛ أمَّا القولة الأخيرة فلها من وجه الفخر مُكْنة الحكمة من عقول القوم؛ وهم عقلاء ذوو تجربةٍ، لا يعتقدون بديمومة الغنى أو الفقر؛ إذ الدَّهر في تصاريفَ مُتَقلِّبةٍ ومُتَبدِّلةٍ.

ويحضر الملمح الاجتماعيُّ، في باب التَّشارك المادِّيّ؛ حيث يظهر من قول عَبِيد: "**وَالْخَالِطُو مُعْسِرٍ مِنْهُمْ بِمُوسِرِهِمْ**" "تضامن الجماعة الأبويَّة؛ فالأغنياء

يضمنون للفقراء عيشًا كريمًا، وفي لفظة (الخَالِطُو)؛ ما يوحي بحرص الأغنياء على أن يرقوا بمستوى حياة فقراء القبيلة إلى مستواهم"(١).

ولعلَّ التَّضامن المجتمعيَّ، البادي في الكرم والضِّيافة؛ ثمرة البيئة الصَّحراويَّة الصَّعبة؛ "إذ إنَّ هذه الظُّروف الصَّعبة يمكن أن تصيب كُلَّ إنسانٍ؛ وهذا يعني أنَّه يمكن أن يأتي وقتٌ يحتاج فيه كُلُّ شخصٍ إلى مساعدة الآخرين، ويُضَاف إلى ذلك، أنَّه على الرَّغم من أنَّ الغارات والغزوات كانت مألوفةً في العصر الجاهليّ، حاول العرب أن يُؤمِّنوا حركةً سِلْميَّةً، في الصَّحراء الوحيدة الواسعة، من خلال الضِّيافة؛ لأنَّه لا تُوجَد مطاعمُ أو استراحاتٌ يستطيع المسافرون فيها أن يسدُّوا حاجاتهم؛ ولكي لا يُعزَل البدو؛ فقد مارسوا الضِّيافة، الَّتي تكوَّنت قبل كلِّ شيءٍ؛ لضمان أمن المسافر، وحمايته خارج قبيلته"(٢).

ويوحي اقتران الشَّجاعة بالكرم، في اللَّوحة السَّابقة؛ بأنَّ "الإنسان العربيَّ كان يرى أنَّ الشَّجاعة والقُوَّة والبأس لا بُدَّ أن يردفها الكرم والجود والعطاء؛ لأنَّ الحياة القاسية الَّتي تطلَّبت منه قُوَّةً للاستمرار فيها؛ تطلَّبت منه، أيضًا،

---

(١) الانتماء في الشِّعر الجاهليّ، اسليم، ص٣١٨، (الفصل الرَّابع: الانتماء الاجتماعيّ والسِّياسيّ/ ٢ – السَّادة والمستضعفون/ ٢ – فقراء وأغنياء).

(٢) الجود والبخل في الشِّعر الجاهليّ، د. محمَّد فؤاد نعناع، دار طلاس للدِّراسات والتَّرجمة والنَّشر، دمشق، (ط١)، (١٩٩٤م)، ص٢١، (– التَّمهيد/ ١ – أهمِّيَّة الضِّيافة والجود في العهود القديمة وفي مجتمع القبيلة العربيَّة).

تضامنًا وتكافلًا بين الأفراد، ومدَّ يد العون للآخرين؛ خشية هلاكهم جوعًا أو عطشًا. ويبدو أنَّه كان مقتنعًا قناعةً تامَّةً بأنَّ الرَّجل القويَّ لا يكتفي بتأمين رزقه ورزق أهله فقط، وإنَّما يمتدُّ عطاؤه ليشمل أفراد القبيلة المحتاجين، وليشمل، أيضًا، كُلَّ معتفٍ أو طالب حاجةٍ يطرق بابه، ويرتجي عونه"(١).

وتلزمنا الإشارة إلى حرص عَبِيد، على توثيق الأثر النَّفعيّ للعَقْد، في المجتمع الجاهليّ؛ بما يُؤسِّس لقيمة الوفاء؛ "والوفاء بهذا المعنى يشمل كُلَّ ما يلتزم به الفرد تجاه الآخرين، من قولٍ أو عملٍ، وخاصَّةً فيما يتَّصل بالجوار والحماية، أو بالحلف والعهد والميثاق"(٢).

---

(١) الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص٢٥٣، (- الباب الثَّاني: القِيَم الخُلُقيَّة/ - الفصل الثَّالث: الكرم)؛ ولتَتبُّع "الكرم"، في الحياة الجاهليَّة؛ يُنظَر: الحياة العربيَّة من الشِّعر الجاهليّ، الحوفيّ، ص٢٤٠ – ٢٥٢، (- الباب الثَّالث: الحياة الخُلُقيَّة من الشِّعر/ - الكرم)؛ ولتَقصِّي "الشَّجاعة"، عند الجاهليّين؛ يُنظَر: الحياة العربيَّة من الشِّعر الجاهليّ، الحوفيّ، ص٢٥٨ – ٢٦٧، (- الباب الثَّالث: الحياة الخُلُقيَّة من الشِّعر/ - الشَّجاعة).

(٢) الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص٣٠٧، (- الباب الثَّاني: القِيَم الخُلُقيَّة/ - الفصل الرَّابع: الوفاء)؛ وللتَّبصُّر في أهمِيَّة "الوفاء"، بين الجاهليّين؛ يُنظَر: الحياة العربيَّة من الشِّعر الجاهليّ، الحوفيّ، ص٢٨١ – ٢٨٥، (- الباب الثَّالث: الحياة الخُلُقيَّة من الشِّعر/ - الوفاء)؛ ولمقاربة حضور "الحِلْف والجِوَار"، في البيئة الجاهليَّة؛ يُنظَر: الحياة العربيَّة من الشِّعر الجاهليّ، الحوفيّ، ص٢١٧ – ٢٢٥، (- الباب الثَّاني: الحياة الاجتماعيَّة من الشِّعر/ - ثانيًا: الصِّلات القبليَّة/ ٣ – الحِلْف والجِوَار).

ولعَبِيد بعد بكائيَّة الطَّلل، وتأمُّليَّة النَّاقة، ووصفيَّة الحرب؛ أن يُعمِّق الحضور الفخريَّ الأخلاقيَّ، في ديار القبيلة، بأسلوب التَّعبير المجازيّ، المستند إلى الاستعارة؛ لمؤدَّى الفخر بقُدْمة امتلاك المكان، وتضحيات القوم دفاعًا عن الحضور الإنسانيّ فيه، ورسوخ آثار منازلهم على مرِّ الأزمنة[1]، حيث يقول[2]:

[من الرَّمل]

وَلَنَــا دَارٌ وَرِثْنَــا عِزَّهَــا الأَ ... قْـدَمَ الْقُدْمُوسَ عَنْ عَـمٍّ وَخَـالِ

مَنْــزِلٌ دَمَّنَــهُ آبَاؤُنَــا الْـ ... ـمُورِثُونَا الْمَجْدَ فِي أُولَى اللَّيَـالِ

مَا لَنَا فِيهَا حُصُونٌ غَيْـرُ مَا الْـ ... ـمُقْرَبَاتِ الْجُـرْدِ تَرْدِي بِالرِّجَـالِ

فِي رَوَابِـي عُدْمُلِـيٍّ شَامِـخِ الأَ ... نْـفِ فِيـهِ إِرْثُ مَجْـدٍ وَجَمَـالِ

فَاتَّبَعْنَـا ذَاتَ أُولانَـا الأُولَى الْـ ... ـمُوقِدِي الْحَرْبِ وَمُوفِي بِالْجِبَالِ

ويمكـن اسـتلال المكَـوِّنات المضـمونيَّة، للتَّصـوير النَّمطـيّ الأخلاقـيّ الجمعيّ؛ بمتتابعة: العزَّة، والثَّبات، والمجد، والمنعة، والأصالة، والشُّموخ، والقُوَّة، والوفـاء؛ فـالعزَّة موروثـةٌ مـن جهـتي: العمومـة، والخؤولـة، والثَّبـات نهـج الآباء

(١) الانتماء في الشِّعر الجاهليّ، اسليم، ص٢٠٣، (- الفصل الثَّالث: الانتماء المكانيّ/ ١ – القرار بالمكان/ ٣ – آثار التَّقارب والتَّباعد)، (بتصرُّف).

(٢) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٨٤، (- قافية اللَّام/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣٦]: يَا خَلِيلَيَّ ارْبَعَا وَاسْتَخْبِرَا...).

الأوائل، والمجد ما أورثوه لأفراد القبيلة، والمنعة الجُرْد المقَرَّبات من الخيام، والأصالة مطبوعةٌ في مرابع القبيلة، والشُّموخ بادٍ في روابيها الموحية بالمجد والجمال، والقُوَّة دأب الأوائل في إيقاد الحرب حين حاجتها، والوفاء حفظٌ للودِّ والعهد، والحسب والنَّسب.

ويجري الشَّاعر على المنوال ذاته؛ فيفخر بالمكارم الأخلاقيَّة لقبيلته، بعد بكاء الطَّلل، ووصف النَّاقة، والفخر بالقدرة الحربيَّة لبني أسد، مع مَزِيَّة وصف "سُلَيْمَى" بعد الطَّلل، عن اللَّوحة السَّابقة، فيختم القصيدة بقوله[1]:

[من السَّريع]

قَوْمِي بَنُو دُودَانَ أَهْلُ النُّهَى ... يَوْمًا إِذَا أُلْقِحَتِ الْحَائِلُ

كَمْ فِيهِمُ مِنْ سَيِّدٍ أَيِّدٍ ... ذِي نَفَحَاتٍ قَائِلٌ فَاعِلُ

مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ وَمَنْ فِعْلُهُ ... فِعْلٌ وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ

الْقَائِلُ الْقَوْلَ الَّذِي مِثْلُهُ ... يَنْبُتُ مِنْهُ الْبَلَدُ الْمَاحِلُ

لا يَحْرِمُ السَّائِلَ إِنْ جَاءَهُ ... وَلا يُعَقِّي سَيْبَهُ الْعَاذِلُ

وَالطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَغَى ... يَذْهَلُ مِنْهَا الْبَطَلُ الْبَاسِلُ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٨٦، (- قافية اللَّام/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣٧]: أَمِنْ رُسُومٍ نَأْيُهَا نَاحِلُ...).

وتُغطِّي المقطوعة السَّابقة مساحةً مُتَفرِّدةً، من السِّمات القوميَّة المثاليَّة، للإطار الأخلاقيِّ الأسديِّ؛ وفي هذا التَّأطير من الاستهلال الغرائبيِّ رسوخ العقلانيَّة حين تحمل الأنثى الحائل؛ ممَّا يشير إلى القدرة الفائقة على قراءة الحلول المنطقيَّة للمعضلات الجسيمة، في دائرة الاهتمامات القبليَّة المعاشيَّة، ضمن المستويين: الدَّاخليِّ، والخارجيِّ، وإنْ كان للإخبار أَنْ يُغلِّف اللَّوحة بكُلِّيَّتها، فله، أيضًا، أن يتَّخذ السَّبيل الكمِّيَّ؛ في الدَّلالة على ملمحيَّة السِّيادة، في السَّواد الأعظم من رجالات أسد، تلك المعَزَّزة بالقُوَّة الفائقة، فالعطاء المسْترسِل، والفعل النَّاجز بعد القول النَّافذ.

وتجري الأخلاقيَّة الثُّلاثيَّة التَّالية، على نحوٍ تتابعيٍّ موصوليٍّ؛ لغاية ترسيخ القول والفعل والمعروف، في أفعال السَّادة الكرام؛ على أنَّ المستهلَّ القوليَّ يبدو محطَّ التَّعبير الاستهلاليِّ للبيت التَّالي؛ بسبيل اسم الفاعل؛ على جهة تعميق المنطق السَّديد، والقول الحكيم، في آرائهم الَّتي تستقيم بها معايش العباد، وأحوال بلادهم، أمَّا التَّشطير الإخباريُّ الفعليُّ المبنيُّ على النَّفي؛ فيكون لإثبات الضِّدِّ الماثل في ديمومة إجابة السَّائل، وإعطاء المسْتمنِح المحتاج؛ وللَّوحة أن تُجلَّل، في فضائها المضمونيِّ الأعلى، بأخلاق الفارس الهُمَام في القتال؛ على تَكِئَة اسم الفاعل الرَّاسخ بناجز الطَّعنة الدَّقيقة في المقتل، تلك الَّتي يذهل لبراعتها البطل الباسل.

أمَّا الابتناء الأسلوبيُّ للمضامين السَّابقة؛ فله أن يُقدِّم مزايا لافتةً؛ أسهمت في تكامليَّة النَّصِّ معنًى ومبنًى، على جهتي: الإطار، والأثر؛ ليكون التَّأطير ترسيخًا للثِّيمات: العقلانيَّة، والحِكَمِيَّة، والسِّياديَّة، والفعليَّة،

والإسناديَّة، والفروسيَّة؛ الَّتي ظهرت بتقاناتٍ تأثيريَّةٍ؛ ماثلةٍ في: غلبة الإخبار الاسميّ، والتَّوازي الجُمَلِيّ، والتَّجنيس الاشتقاقيّ، والتَّصويت التَّفخيميّ والصَّفيريّ؛ من قبيل: القاف، والطَّاء، والسِّين؛ على ما فيها من مناسبة الغرض من جانبٍ، وتحقيق القيمة الموسيقيَّة الدَّاخليَّة من جانبٍ آخرَ.

ويقتصد عَبِيد في الوقوف على الأطلال بناقته وبكائها؛ ليخلص إلى الفخر الأخلاقيّ فالحربيّ، وفي أخلاقيَّات قومه، الَّتي استذكرها في موقف الطَّلل الحزين، يقول(١):

[من الكامل]

لِمَنِ الدِّيَارُ بِبُرْقَةِ الرَّوْحَانِ؟ دَرَسَتْ وَغَيَّرَهَا صُرُوفُ زَمَانِ!

...

أَيَّامَ قَوْمِي خَيْرُ قَوْمٍ سُوقَةٍ لِمُعَصِّبٍ وَلِبَائِسٍ وَلِعَانِي

وَلَنِعْمَ أَيْسَارُ الْجَزُورِ إِذَا زَهَتْ رِيحُ الشِّتَاءِ وَمَأْلَفُ الْجِيرَانِ

أمَّا الأيَّام فكثرةٌ كاثرةٌ؛ تحيل إلى تأصُّل الخيريَّة في قومه للعامَّة؛ من مثال: الجائع، والفقير، والأسير، مع تبدِّي الإنشاء غير الطَّلبيّ؛ في مقام مدح الضَّاربين بالقداح للمقامرة، النَّاحرين الجَزُور للإطعام حين هبوب ريح الشِّتاء الباردة؛ حتَّى غدوا بكرمهم موطن ألفة الجيران.

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٩٩، (- قافية النُّون/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٤٧]: لِمَنِ الدِّيَارُ بِبُرْقَةِ الرَّوْحَانِ؟...).

– ٣. ٣: التَّنميط الحربيُّ.

سعى عَبيد إلى تكريس الصُّورة الجمعيَّة، في السِّياق الحربيّ؛ بما تضمَّنه من فخرٍ بالغٍ بالانتصارات الباهرة، في الوقائع الفاصلة من أيَّام العرب؛ على طريقتي: تأريخ الأحداث، وتأصيل الاجتماع، لمجمل التَّفاعلات القبليَّة العربيَّة، في بيئة الجاهليّين؛ بفضل مزايا: كثرة العدد، وقيمة الفروسيَّة، وتفوُّق العتاد؛ لتكون للقبيلة كلمتها السَّائدة، المجلَّلة بريادة الحكمة، وصدارة المجد.

ويتبدَّى الفخر الجمعيُّ في مواجهة "بني جَدِيلَة"؛ من خلال الفخر الفروسيّ، ثمَّ الحربيّ، الكائن في النِّصف الثَّاني من القصيدة؛ ليوحي بالتَّهديد الصَّريح؛ من خلال ذكر انتصارات الأسديّين، في حروبهم المختلفة، فضلًا عن قتل الملك حُجر، فيقول الشَّاعر(١):

[من الكامل]

وَلَقَدْ شَبَبْنَا بِالْجِفَارِ لِدَارِمٍ نَارًا بِهَا طَيْرُ الأَشَائِمِ يَنْعَبُ
وَلَقَدْ تَقَادَمَ بِالنِّسَارِ لِعَامِرٍ يَوْمٌ لَهُمْ مِنَّا هُنَاكَ عَصَبْصَبُ
حَتَّى سَقَيْنَاهُمْ بِكَأْسٍ مُرَّةٍ فِيهَا الْمُثَمَّلُ نَاقِعًا فَلْيَشْرَبُوا
بِمُعَضَّلٍ لَجِبٍ كَأَنَّ عُقَابَهُ فِي رَأْسِ خُرْصٍ طَائِرٌ يَتَقَلَّبُ

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٢١، ٢٢، (– قافية الباء/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣]: أُنْبِئْتُ أَنَّ بَنِي جَدِيلَةَ أَوْعَبُوا...).

وَلَقَـدْ أَتَانَـا عَـنْ تَمِيـمٍ أَنَّهُـمْ ذَئِـرُوا لِقَتْلَـى عَامِـرٍ وَتَغَضَّبُـوا
رَغْـمٌ لِأَنْـفِ أَبِيـكَ عِنْـدِي ضَائِـعٌ إِنِّـي يَهُـونُ عَلَـيَّ أَنْ لا يُعْتَبُـوا
وَغَـدَاةَ صَبَّحْـنَ الْجِفَـارَ عَوَابِسًـا يَهْـدِي أَوَائِلَهُـنَّ شُعْـثٌ شُـزَّبُ
لَمَّـا رَأَوْنَـا وَالْمَغَـاوِلُ وَسْطَهُـمْ وَالْخَيْـلُ تَبْـدُو تَـارَةً وَتَغَيَّـبُ
وَلَّـوْا وَهُـنَّ يَجُلْـنَ فِـي آثَارِهِـمْ شَـلَلًا وَبَالَطْنَاهُـمُ فَتَكَبْكَبُـوا
سَائِـلْ بِنَـا حُجْـرَ بـنَ أُمِّ قَطَـامِ إِذْ ظَلَّتْ بِـهِ السُّمْـرُ النَّوَاهِلُ تَلْعَـبُ
صَبْـرًا عَلَـى مَـا كَـانَ مِـنْ حُلَفَائِنَـا مِسْكٌ وَغِسْلٌ فِي الرُّؤُوسِ يُشَيَّبُ
فَلْيَبْكِهِـمْ مَـنْ لا يَـزَالُ نِسَـاؤُهُ يَـوْمَ الْخِفَـاظِ يَقُلْـنَ أَيْـنَ الْمَهْرَبُ

ويكون تهديد الحلفاء من "بني جَدِيلَة" ختامًا للَّوحة الشِّعريَّة؛ المحْتشِدة بمآثر الأسديّين الحربيَّة، في أيَّامهم الخالدة؛ ومنها يوم "الجِفَار" مع "بني دَارِم" من "تميم"؛ حيث أوقدوا لهم نار الحرب المشتملة بنَعِيب الغراب المشؤوم، ويوم "النِّسَار" في مواجهة "بني عامر"؛ وفيه أسقوهم كأس الموت المسموم، بجيشٍ كبيرٍ جرَّارٍ، خفقت راياته عاليةً كأنَّها على رؤوس الرِّماح؛ أمَّا غضبة "تميم" لقتلى "بني عامر"؛ فكانت محطَّ هُزْء عَبِيد وسخريته منهم، مُذَكِّرًا إيَّاهم بيوم "الجِفَار"؛ وقد كانت الإغارة الصَّباحيَّة فيه بخيولٍ منتشرةٍ ضامرةٍ، خبرت تصاريف الحروب والمعارك، وتحت وقع لمعان السُّيوف، وبروز الخيل تارةً، واختفائها تارةً أخرى؛ إثر غبار المعركة المتكاثر؛ ولَّوْا مدبرين دون أن ينالوا بغيتهم؛ إذ كان الفرسان على خيولهم في مطاردتهم، وجالدوهم حتَّى النِّهاية.

وإنْ كان الإخبار قد جرى على النَّمط الفعليّ المؤَكَّد، أو الاسميّ الرَّاسخ؛ فإنَّ الخطاب قد تشكَّل بصيغة الإنشاء؛ على جهة الأمر المغَلَّف بالفخر؛ لغاية مساءلة الأعيان والقبائل عن قتل الملك حُجر بفعل قومه؛ حين ظلَّت الرِّماح العطشى تنهل من دمائه، وتُعمِل أثرها النَّافذ بالطَّعن والتَّمزيق لكلِّ مَن والاه؛ ليكون التَّهديد الموَجَّه لـ"بني جَدِيلَة"، تاليًا، بوقعٍ جسيمٍ، ونفعٍ مُتَحقِّقٍ، وردعٍ بيِّنٍ؛ وقد بدا المضمون التَّهديديُّ نزَّاعًا إلى التَّرهيب البالغ؛ حين وصف عَبِيد استعداد فرسان القبيلة المحاربين للموت باستصحاب الحَنُوط؛ وهؤلاء أدعى لأَنْ يُبكَى على الرَّاحلين منهم؛ لحفاظهم على حياض القبيلة، وحماية محارمها، حين لم يفلح الآخرون في ذلك، وتفرَّقت أعراضهم في أحياء العرب.

وللظَّاهرة الصَّوتيَّة التَّنافريَّة؛ أن ترفد المعنى بمُؤَثِّري: القُوَّة، والعمق، على نحو ما وقعنا عليه في مفردة "**شُزَّب**"، "وقد بدا التَّنافر متوافقًا مع المعنى؛ فتداخل الأصوات المتنافرة يحاكي ذلك التَّداخل والتَّشابك والتَّلبُّد في شعر الخيول؛ إنَّه تنافرٌ يوحي بالمعنى ويُصوِّره"(١).

(١) الإيقاع وعلاقته بالدَّلالة في الشِّعر الجاهليّ، أحمد حسابيّ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، إشراف: أ. د. طاهر حجَّار، جامعة الجزائر، الجزائر، (٢٠٠٥/ ٢٠٠٦م)، ص٣١٤، (- الفصل الخامس: الإيقاع الصَّوتيّ والدَّلالة/ - الإيقاع الصَّوتيّ والدَّلالة في الشِّعر الجاهليّ).

ويُمعِن عَبِيد في إضاءة التَّنميط الفخريّ الحربيّ، في إطار التَّهديدات الاستباقيَّة؛ بتوظيف أسلوب الإخبار؛ من خلال الوقوف على نتائج حروب القبيلة مع الأعداد الألدَّاء؛ لغاية تحقيق التَّرهيب الرَّادع لامرئ القيس، الَّذي طلب الثَّأر لدم أبيه دون نواله، حيث يقول عقب الوقوف الباكي على أطلال "سُلَيْمَى"(١):

[من الطَّويل]

وَنَحْنُ قَتَلْنَا الأَجْدَلَيْنِ وَمَالِكًا ... أَعَزَّهُمَا فَقْدًا عَلَيْكَ وَهَالِكَا

وَنَحْنُ جَعَلْنَا الرُّمْحَ قِرْنًا لِنَحْرِهِ ... فَقَطَّرَهُ كَأَنَّمَا كَانَ وَارِكَا

وَنَحْنُ قَتَلْنَا مُرَّةَ الْخَيْرِ مِنْكُمُ ... وَقُرْصًا، وَقُرْصٌ كَانَ مِمَّا أُولَئِكَا

وَنَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا يَوْمَ أَقْبَلُوا ... سُيُوفًا عَلَيْهِنَّ النِّجَادُ بَوَاتِكَا

عَطَفْنَا لَهُمْ عَطْفَ الضَّرُوسِ فَأَدْبَرُوا ... شِلالًا وَقَدْ بَلَّ النَّجِيعُ السَّنَابِكَا

وَيَوْمَ الرَّبَابِ قَدْ قَتَلْنَا هُمَامَهَا ... وَحُجْرًا قَتَلْنَا شَيْخَهُ قَبْلَ ذَلِكَا

وَأَنْتَ امْرُؤٌ أَلْهَاكَ دَفٌّ وَقَيْنَةٌ ... فَتُصْبِحُ مَخْمُورًا وَتُمْسِي كَذَلِكَا

...

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٧٠، (- قافية الكاف/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣٠]: تَعَفَّتْ رُسُومٌ مِنْ سُلَيْمَى دَكَادِكَا...).

وتبين المتتالية الفخريَّة، المستهلَّة بالتَّصريح الضَّميريِّ الجمعيِّ؛ عن مبلغ الفخر بالقُوَّة الحربيَّة، وقد وثَّق الشَّاعر بالاسميَّة الصَّريحة نتاج حروب القوم مع سادة "كِنْدة": "الأجدلَيْن"، و"مالكٍ"، و"مُرَّة الخير"، و"قُرْصٍ"؛ الَّذين أصيبوا في مقاتلهم؛ فخلَّف هلاكهم الألم والحسرة في قلب امرئ القيس؛ ولهذا الأمر أن ينسحب على "بني عامر"؛ الَّذين أوجعهم الأسديُّون جرحًا وقتلًا؛ فولَّوْا مدبرين، وللخطاب أن يعود إلى التَّهديد المباشر لامرئ القيس؛ من خلال تَذْكِرة المقتلة، في يوم "الرَّبَاب"؛ حين ثارت القبيلة على الملك حُجر فقتلته وأعوانه.

ويخلص الشَّاعر من التَّهديد إلى فداحة السُّخرية؛ فيُعمِل سهام الهجاء اللَّاذعة في فروسيَّة امرئ القيس المنقوصة؛ إذ هو مشغولٌ بالغناء والخمر، عن طلب الثَّأر والقصاص، وقد أدرك الكلُّ ثأره إلَّاه؛ فلا أحرز الأوتار، ولا أصاب الانتصار على أعدائه، وقد نجا من المهلكة بالفرار على هيئة الذَّليل، وظلَّ مُتَوهِّمًا بفَخَاره الزَّائف حيازة المُلْك.

ويجيء التَّخصيص الفخريُّ، في سياق المواجهة الشِّعريَّة مع امرئ القيس؛ حين يفرد الشَّاعر لُبَّ القصيدة، بعد استهلالها المسْتعِيد ذكرى "كُبَيْشَة"، والمتَأمِّل في ديارها، لمقتلة "كِنْدة" في سادتها، وعلى رأسهم حُجر؛ على نحوٍ

كاشفٍ لقمَّة الصُّعود الجمعيّ، في تنميط الفخر بالكفاءة الحربيَّة، المسْتنِد إلى المؤَشِّرات الفروسيَّة المثلى، قائلًا[1]:

[من الكامل]

يَـا ذَا الْمُخَوِّفَنَـا بِمَقْتَـلِ شَيْخِـهِ ... حُـجْـرٍ تَمَنّيَ صَاحِبِ الأَحْـلامِ

لا تَبْكِنَـا سَفَهًـا وَلا سَادَاتِنَـا ... وَاجْعَـلْ بُكَـاءَكَ لابْـنِ أُمِّ قَطَـامِ

حُجْـرٍ غَـدَاةَ تَعَاوَرَتْـهُ رِمَاحُنَـا ... بِالْقَـاعِ بَيْـنَ صَفَاصِفٍ وَإِكَـامِ

حَتَّـى خَطَـرْنَ بِـهِ وَهُـنَّ شَـوَارِعٌ ... مِـنْ بَيْـنِ مُقْتَصِـدٍ وَآخَـرَ دَامِ

وَالْخَيْـلُ عَاكِفَـةٌ عَلَيْـهِ كَأَنَّهَـا ... سُحُـقُ النَّخِيلِ نَأَتْ عَنِ الْجُرَّامِ

مُتَبَارِيَـاتٍ فِـي الأَعِنَّـةِ قُطَّبًـا ... يَحْمِلْـنَ كُـلَّ مُنَـازِلٍ قَمْقَـامِ

سَلَفًـا لأَرْعَـنَ مَـا يَخِـفُّ ضَبَابُـهُ ... مُتَقَنِّـسٍ بَـادِي الْحَدِيـدِ لُهَـامِ

فِيـهِ الْحَدِيـدُ وَفِيـهِ كُـلُّ مَصُونَـةٍ ... نَبْـعٍ وَكُـلُّ مُثَقَّـفٍ وَحُسَـامِ

وَلَقَـدْ قَتَلْنَهُـمُ وَكَـمْ مِـنْ سَيِّـدٍ ... عَكَفَـتْ عَلَيْـهِ خُيُولُنَـا وَهُمَـامِ

إِنَّـا إِذَا عَـضَّ الثِّقَـافُ قَنَاتَنَـا ... حَالَـتْ وَرَامَـتْ ثُـمَّ خَيْـرَ مَـرَامِ

نَحْمِـي حَقِيقَتَنَـا وَنَمْنَـعُ جَارَنَـا ... وَنَلُـفُّ بَيْـنَ أَرَامِـلِ الأَيْتَـامِ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٩٠، ٩١، (- قافية الميم/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٤٠]: حَلَّتْ كُبَيْشَةُ بَطْنَ ذَاتِ رُؤَامِ...).

وَنَسِيرُ لِلْحَرْبِ الْعَوَانِ إِذَا بَدَتْ حَتَّى نَلُفَّ ضِرَامَهَا بِضِرَامِ

لَمَّا رَأَيْتَ جُمُوعَ كِنْدَةَ أَحْجَمَتْ عَنَّا وَكِنْدَةُ غَيْرُ جِدِّ كِرَامِ

أَزَعَمْتَ أَنَّكَ سَوْفَ تَأْتِي قَيْصَرًا فَلَتَهْلِكَنَّ إِذًا وَأَنْتَ شَآمِي

نَأْبَى عَلَى النَّاسِ الْمَقَادَةَ كُلِّهِمْ حَتَّى نَقُودَهُمُ بِغَيْرِ زِمَامِ

واللَّافت في المقطوعة السَّابقة استهلالها بالإنشاء النِّدائيّ ثمَّ النَّاهي؛ لغاية المصاولة المضمونيَّة مع امرئ القيس؛ في وجهة بطلان الأماني، والبكائيَّات المضَلِّلة؛ لتأكيد انتفاء القدرة الفروسيَّة على الأخذ بثأر الوالد القتيل.

ويكون الإخبار، تاليًا، مع تغليب فعليَّته النَّاجزة بالتَّوصيف الدَّقيق، للمجابهة الحاسمة للملك حُجر؛ الَّتي آلت إلى تداوله بالرِّماح السَّديدة، وعكوف الخيل، الشَّبيهة بطوال النَّخيل، على جثمانه المثْخَن بالجراح، كما عكفت على غيره من السَّادة المجندلِين في ساحة النِّزال؛ بفضل التَّفوُّق الفروسيّ، والعدَّة القتاليَّة الماحقة؛ من: السُّيوف، والرِّماح، والقِسِيّ.

وكيما يتحقَّق المراد بجلال الفخر التَّرهيبيّ للأعداء؛ استرسل الشَّاعر في وصف رماح القبيلة المثَقَّفة المسَدَّدة، وكفاية الحماية للشَّرف والمروءة والعِرْض، فضلًا عن إجارة المستجير، وكفالة الأرامل والأيتام، وقدرة الجيش على إذكاء جذوة الحرب العَوَان؛ ليتجلَّى الرَّسول الشِّعريُّ الأخير ببالغ الاستهزاء المجَلَّل بالتَّحدِّي، إبَّان إحجام "كِنْدة" عن المواجهة؛ حيث يسخر عَبِيد من عزم امرئ القيس على الاستعانة بالقيصر، داعيًا عليه بالهلاك في الشَّام قبل

وصوله، ومُصَرِّحًا بالنَّهج القوميّ المتَّكئ على نبذ الذُّلِّ والانقياد، والتَّبعيَّة للآخر بقيد العبوديَّة.

ونلحظ فيما سبق؛ أنَّ "نظرة الملك المِمْعِنة في احتقار السُّوقَة؛ إذ جعلهم عبيدًا، وإقدامه على الرِّضا بالتَّبعيَّة؛ إذ التجأ إلى الرُّوم من أجل التَّسلُّط على السُّوقَة وإذلالهم؛ من الأسباب الموجبة لتفكير السُّوقَة بالخلاص من ذلك الملك؛ ولتفكيرهم بالاستقلال المطلق عن كُلِّ نفوذٍ؛ ولرؤية أحقِّيَّتهم بالقيادة"(١).

ولنا أن نقف، تاليًا، على تنميط الفخر بالبسالة الحربيَّة، في مقام التَّناصِّ الموقفيّ الدَّاخليّ؛ حين يفرد عَبِيد القصيدة بكُلِّيَّتها للفخر بالجماعة، في سياق التَّهديد، المسترسل في وصف مآل الاندحار، للآخر العدوّ؛ وامرؤ القيس دافع القصيد ومضمونه؛ على جهتي: السُّخرية من عجزه عن طلب الثَّأر، والتَّهديد ببالغ الذُّلِّ، اللَّاحق بِـ"حُجر" و"غسَّان" و"هوازن" في الزَّمن السَّابق، فضلًا عن السَّادات الأكارم من ذوي السُّمُوِّ والأمر؛ بفضل الجمع القبليّ الغفير، والتَّحفُّز الدَّائم لنفير القتال، بخير الجياد والعتاد، مع الاختتام بحماية ذوي الحلف والعهد، فنراه يقول(٢):

---

(١) الانتماء في الشِّعر الجاهليّ، اسليم، ص٢٨٩، ٢٩٠، (- الفصل الرَّابع: الانتماء الاجتماعيّ والسِّياسيّ/ ١ – الملوك والسُّوقَة/ ٣ – عجز الطَّبقة الملكيَّة).

(٢) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٩٥ – ٩٧، (- قافية النُّون/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٤٥]: يَأْ ذَا الْمُخَوِّفَنَا بِقَتْلِ...).

[من مجزوء الكامل]

يَـا ذَا الْمُخَوِّفَنَـــا بِقَتْـــ ـــلِ أَبِيـــهِ إِذْلالًا وَحَيْنَـــا
أَزَعَمْـتَ أَنَّـكَ قَـــدْ قَتَلْـ ـــتَ سَرَاتَنَـا كَذِبًـا وَمَيْنَـا
هَـــلَّا عَلَـى حُجْـــرِ بْـــنِ أُ مِّ قَطَـامٍ تَبْكِـي لا عَلَيْنَـا
إِنَّـــا إِذَا عَـــضَّ الثِّقَـــا فُ بِـرَأْسِ صَعْدَتِنَـا لَوَيْنَـا
نَحْمِـــي حَقِيقَتَنَـا وَبَعْـ ـضُ الْقَـوْمِ يَسْقُطُ بَيْـنَ بَيْنَـا
هَـــلَّا سَأَلْـتَ جُمُـوعَ كِنْـ ـدَةَ يَـوْمَ وَلَّـوْا أَيْـنَ أَيْنَـا
أَيَّـــامَ نَضْـــرِبُ هَـامَهُـــمْ بِبَوَاتِـــرٍ حَتَّـــى انْحَنَيْنَـــا
وَجُمُـــوعَ غَسَّـــانَ الْمُلُـــو كَ أَتَيْنَـهُـــمْ وَقَـــدِ انْطَوَيْنَـــا
لُحُقًـــا أَيَاطِلُهُـــنَّ قَـــدْ عَالَجْـــنَ أَسْفَـــارًا وَأَيْنَـــا
وَلَقَـــدْ صَلَقْنَـــا هَوَازِنًـــا بِنَوَاهِـــلٍ حَتَّـــى ارْتَوَيْنَـــا
نُعْلِيهِـــمُ تَحْـــتَ الضَّبَـــا بِ الْمَشْرَفِـيَّ إِذَا اعْتَزَيْنَـــا
نَحْـنُ الأُولَى جَمَّـعْ جُمُـو عًـــا ثُـمَّ وَجِّهْهُـــمْ إِلَيْنَـــا
وَاعْلَـــمْ بِـأَنَّ جِيَـادَنَـــا آلَيْـــنَ لا يَقْضِيـــنَ دَيْنَـــا
وَلَقَـدْ أَبَحْنَـــا مَـــا حَمَيْـــ ـــتَ وَلا مُبِيـحَ لِمَـا حَمَيْنَـا
هَـــذَا وَلَـــوْ قَـــدَرَتْ عَلَيْـكَ رِمَـــاحُ قَوْمِـي مَـا انْتَهَيْنَـا
حَتَّـــى تَنُوشَـــكَ نَوْشَـــةً عَادَاتِهِـــنَّ إِذَا انْتَوَيْنَـــا

نُغْلِـي السَّبَـاءَ بِكُـلِّ عَـا ... تِـقَـةٍ شَمُـولٍ مَـا صَحَوْنَـا
وَنُهِيـنُ فِـي لَذَّاتِـهَـا ... عُظْـمَ التِّـلادِ إِذَا انْتَشَيْنَـا
لا يَبْلُـغُ الْبَـانِـي وَلَـوْ ... رَفَـعَ الدَّعَـائِـمَ مَـا بَنَيْنَـا
كَـمْ مِـنْ رَئِيسٍ قَـدْ قَتَلْـ ... ـنَاهُ وَضَيْـمٍ قَـدْ أَبَيْنَـا
وَلَـرُبَّ سَيِّـدِ مَعْشَـرٍ ... ضَخْـمِ الدَّسِيعَـةِ قَـدْ رَمَيْنَـا
عِقْبَانُـهُ بِظِـلالِ عِقْـ ... ـبَانٍ تَيَمَّـمُ مَـا نَوَيْنَـا
حَتَّـى تَرَكْنَـا شِلْـوَهُ ... جَـزَرَ السِّبَـاعِ وَقَـدْ مَضَيْنَـا
وَأَوَانِـسٍ مِثْـلِ الدُّمَـى ... حُـورِ الْعُيُـونِ قَـدِ اسْتَبَيْنَـا
إِنَّـا لَعَمْـرُكَ لا يُضَـا ... مُ حَلِيفُنَـا أَبَـدًا لَدَيْنَـا

ومِمَّا لا شكَّ فيه؛ "أنَّ تلك المحاورات الشِّعريَّة، إن صحَّ أن نسمِّيها كذلك، تضعنا أمام مجموعةٍ من الحقائق التَّاريخيَّة؛ من أبرزها أنَّ الشِّعر قد سجَّل كثيرًا من الأحداث التَّاريخيَّة؛ الَّتي لها علاقةٌ بجوانبَ مختلفةٍ، من الحياة العربيَّة الجاهليَّة؛ ولعلَّ أيَّام العرب خير دليلٍ على ذلك"(١).

(١) جدليَّة القيم في الشِّعر الجاهليّ؛ رؤية نقديَّة معاصرة، أ. د. بوجمعة بوبعيو، اتِّحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، (د. ط)، (٢٠٠١م)، ص١١٣، ١١٤، (- الفصل السَّابع: الهجاء بين المظاهر السَّلبيَّة والإيجابيَّة).

وتشير تلك الحواريَّات، أيضًا، إلى "أنَّ هناك تواصلًا بين الشُّعراء؛ حيث إنَّ الشِّعر سرعان ما تتلقَّفه الأسماع، وإذا كان هذا الشِّعر نابعًا من حقائقَ مشبوهةٍ أو مشكوكٍ فيها؛ فإنَّ الرَّدَّ يأتي سريعًا ليدحض ما هو زائفٌ، وتبقى الحقيقة هي السَّائدة، كما هو الشَّأن في امرئ القيس؛ حيث تطلعنا الأخبار التَّاريخيَّة أنَّه مات في طريقه إلى القيصر، ولم يستطع الثَّأر لأبيه، خلاف ما أطلعنا عليه شعره، وليس هذا فحسب، بل قد نذهب إلى أبعد من ذلك، وهو أنَّ مثل تلك المحاورات الشِّعريَّة؛ تدلُّ على أنَّ هناك تواصلًا ثقافيًّا بين الشُّعراء؛ مِمَّا يجعلنا نتوقَّع حركةً شعريَّةً نشطةً في ذلك العصر، الَّذي يتخيَّله الكثير عصرًا مُتَحجِّرًا يطغى عليه الجهل والرَّتابة"(١).

ويورد الشَّاعر مقطوعةً ثلاثيَّةً، تندرج ضمن الفخر الجمعيّ، المقترن بمواجهة امرئ القيس، السَّاعي للأخذ بثأر أبيه، دون إدراك غايته، وقد عوَّده الأسديُّون القهر على الدَّوام، كما ألهاه الخمر والغناء؛ فعجز عن مواجهتهم، وفي هذا يقول(٢):

[من الطَّويل]

سَقَيْنَا امْرَأَ الْقَيْسِ بْنَ حُجْرِ بْنِ حَارِثٍ كُؤُوسَ الشَّجَا حَتَّى تَعَوَّدَ بِالْقَهْرِ

(١) جدليَّة القيم في الشِّعر الجاهليّ؛ رؤية نقديَّة معاصرة، بوبعيو، ص١١٤.

(٢) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٤٥، (- قافية الرَّاء/ - فاتح المقطوعة الشِّعريَّة [١٩]: سَقَيْنَا امْرَأَ الْقَيْسِ بْنَ حُجْرِ بْنِ حَارِثٍ...).

وَأَلْهَـاهُ شُـرْبٌ نَـاعِـمٌ وَقُرَاقِـرٌ وَأَعْيَـاهُ ثَـأْرٌ كَـانَ يَطْلُبُ فِي حُجْرِ

وَذَاكَ لَعَمْـرِي كَـانَ أَسْهَـلَ مَشْرَعًـا عَلَيْهِ مِـنَ الْبِيضِ الصَّوَارِمِ وَالسُّمْـرِ

وإِنْ كـان عَبِيـد قـد جلَّى، سـابقًا، الحـرب الاسـتباقيَّة القائمـة على بلاغـة التَّهديد، فإنَّه يقـف، تاليًا، على جهوزيَّة الجيش القبليّ للحماية والمواجهة؛ وإِنْ كانت الأولى للنَّصير والمعَاهِد، فللثَّانية أن تنحو نَحْو النَّفير؛ المبِين عن عديـد الجـيش وعتـاده، في مجابهـة الأعـداء، وفي ذلـك يقـول علـى سـبيل الإخبار[1]:

[من البسيط]

أَوْ لَأَتَـوْكَ بِجَمْـعٍ لا كِفَـاءَ لَـهُ قَوْمٍ هُمُ الْقَوْمُ فِي الأَنْأَى وَفِي الْبُعُدِ

بِجَحْفَـلٍ كَبَهِيـمِ اللَّيْـلِ مُنْتَجِـعٍ أَرْضَ الْعَـدُوِّ لُهَـامٍ وَافِـرِ الْعَـدَدِ

الْقَائِـدُ الْخَيْـلَ تَرْدي فِي أَعِنَّتِهَـا وِرْدَ الْقَطَا هَجَّرَتْ ظِمْأً إِلَى الثَّمَـدِ

مِـنْ كُـلِّ عِجْلِـزَةٍ بَـادٍ نَوَاجِذُهَـا عَلَى اللِّجَامِ تُبَارِي الرَّكْبَ فِي عَنَدِ

وَكُـلِّ أَجْـرَدَ قَـدْ مَالَـتْ رِحَالَتُـهُ نَهْـدِ الْمَرَاكِـلِ فَعْـمٍ نَاتِـئِ الْكَتَـدِ

حَتَّـى تَعَاطَيْـنَ غَسَّـانًـا فَحَرْبَهُـمُ يَـوْمَ الْمُـرَارِ وَلَمْ يَلْـوُوا عَلَى أَحَـدِ

لَمَّـا رَأَوْكَ وَبُلْـجُ الْبِيضِ وَسْطَهُـمُ وَكُـلُّ مُطَّـرِدِ الأُنْبُـوبِ كَالْمَسَـدِ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٣٣، ٣٤، (- قافية الدَّال/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [١١]: دَعَا مَعَاشِرَ فَاسْتَكَّتْ مَسَامِعُهُمْ...).

غَـوَتْ بَنُـو أَسَـدٍ غَسَّـانَ أَمْرَهُـمُ وَقَـلَّ مَـا وَقَفَـتْ غَسَّـانُ لِلرَّشَـدِ

ويكون الإتيان لحرب العدوّ قائمًا على سابق الإعداد والتَّجهيز؛ بالعدد الكثير المتَّسِم بانتفاء الكِفَاء، وتحمُّل أعباء الأسفار، وجيش القبيلة، على هذه الحال، كما اللَّيل البهيم، الَّذي يلتهم كُلَّ شيءٍ يقف قبالته، في سعيه نحو أرض العدوّ.

ثمَّ يكون للتَّصوير التَّمثيليّ وجهة المماثلة بين الخيل الَّتي تعدو بقُوَّةٍ وسرعةٍ فائقتَيْن، والقطا السَّائرة في وقت الهجير؛ طلبًا للماء القليل، بينما يحرص الفرسان على امتطاء "كُلِّ عِجْلِزَة" و"كُلِّ أَجْرَد" من الجياد؛ على ما فيها من سمات: القُوَّة، والجلد، والضَّخامة، والمتانة، الَّتي باغتت "غسَّان" في "يوم المرَار"؛ فما كان من الأعداء إلَّا الهروب، وقد عاينوا قائد الجيش الجرَّار؛ كما استسلموا للسُّيوف اللَّامعة والرِّماح الطَّويلة الشَّبيهة بالحبال؛ الَّتي أثخنتهم بالجراح، وأمعنت فيهم التَّقتيل؛ فضلَّت "غسَّان" وغوت، وما كانت من قبلُ على سبيل الرَّشاد.

وقد شمل الشَّاعر بفخريَّته الحربيَّة، توثيق حدث الصِّدام، مع الحارث الغسَّانيّ، جدِّ امرئ القيس، بعد الوقفة التَّأمُّليَّة، في رسوم الأطلال، قائلًا[1]:

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٨٣، (- قافية اللَّام/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣٦]: يَا خَلِيلَيَّ ارْبَعَا وَاسْتَخْبِرَا...).

[من الرَّمل]

نَحْنُ قُدْنَا مِنْ أَهَاضِيبِ الْمَلا الْـ ـخَيْلَ فِي الأَرْسَانِ أَمْثَالَ السَّعَالِي

شُزَّبًـا يَغْشَيْـنَ مِـنْ مَجْهُولَـةِ الأَ رْضِ وَعْثًـا مِـنْ سُهُـولٍ وَجِبَـالِ

فَانْتَجَعْنَـا الْحَـارِثَ الأَعْـرَجَ فِـي جَحْفَـلٍ كَاللَّيْـلِ خَطَّـارِ الْعَـوَالِي

يَـوْمَ غَادَرْنَـا عَدِيًّـا بِالْقَنَـا الـ ـذُّبَّلِ السُّمْـرِ صَرِيعًا فِي الْمَجَالِ

ثُـمَّ عُجْنَاهُنَّ خُوصًـا كَالْقَطَـا الْـ ـقَارِبِ الْمَنْهَـلَ مِنْ أَيْـنِ الْكَلالِ

نَحْـوَ قُرْصٍ يَـوْمَ جَالَـتْ حَوْلَهُ الْـ ـخَيْـلُ قُبًّـا عَـنْ يَمِيـنٍ وَشِمَـالِ

كَـمْ رَئِيسٍ يَقْـدُمُ الأَلْـفَ عَلَى الأَ جْـوَدِ السَّابِحِ ذِي الْعَقْبِ الطُّوَالِ

قَـدْ أَبَاحَـتْ جَمْعَـهُ أَسْيَافُنَـا الْـ ـبِيضُ وَالسُّمْـرُ وَمِنْ حَيٍّ حِلالِ

ويأتي المفتاح الشِّعريُّ مشتملًا بالضَّمير الجمعيّ الرَّاسخ، الَّذي يتكاثر حضوره في ثنايا اللَّوحة؛ ليبين عن مدى الاعتداد الفخريّ بمآثر القبيلة الحربيَّة؛ وهي الَّتي أعدَّت للحروب عدَّتها من العدد الكثير؛ حتَّى بدا الجيش كقطع اللَّيل المظلم؛ كما اتَّخذت من الجياد أقواها بنيةً، وأعتاها سرعةً، وأكثرها خبرةً، في المسالك الوعرة، وضمن المواجهات الحاسمة؛ فكانت في إيحاء التَّصوير البلاغيّ كإناث الغول في السُّرعة والتَّحفُّز، وكالقطا في الضُّمور والتَّوثُّب؛ أمَّا الهَلْكَى الَّذين طالتهم سيوف الفرسان ورماحهم؛ فهم: الحارث بن شمَّر الغسَّانيُّ، وعديُّ بن مالكٍ، وقُرْص بن مالكٍ؛ ليكون المنتهى على

جهة الإخبار الكمّيّ؛ بكثرة السَّادة المتَقدِّمين جيوشهم المؤَلَّفة، على الجياد النَّشيطة السَّريعة السَّابحة، وقد استُبِيحت دماء الأعداء بالسُّيوف والرِّماح.

ويظهر الفخر الحربيُّ في أعلى مراتبه؛ بتكثيف عَبِيد أمجاد قبيلته في أيَّامها القتاليَّة؛ لغاية زرع الرُّعب في قلوب الأعداء، مُبْتنِيًا خطاب الفخر، بعد الوقوف الطَّلليّ على ديار "سُلَيْمَى"، فيقول(١):

[من السَّريع]

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مَجْدِنَا ... إِنَّكَ عَنْ مَسْعَاتِنَا جَاهِلُ

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَأْتِكَ أَيَّامُنَا ... فَاسْأَلْ تُنَبَّأْ أَيُّهَا السَّائِلُ

سَائِلْ بِنَا حُجْرًا وَأَجْنَادَهُ ... يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعُهُ الْجَافِلُ

يَوْمَ أَتَى سَعْدًا عَلَى مَأْقِطٍ ... وَجَاوَلَتْ مِنْ خَلْفِهِ كَاهِلُ

فَأَوْرَدُوا سِرْبًا لَهُ ذُبَّلًا ... كَأَنَّهُنَّ اللَّهَبُ الشَّاعِلُ

وَعَامِرًا أَنْ كَيْفَ يَعْلُوهُمُ ... إِذِ التَقَيْنَا الْمُرْهَفُ النَّاهِلُ

وَجَمْعَ غَسَّانَ لَقِينَاهُمُ ... بِجَحْفَلٍ قَسْطَلُهُ ذَائِلُ

أمَّا استهلال اللَّوحة؛ فيوحي، في البيتَيْن الأوَّلَيْن، بمجد القبيلة في مختلف المكارم والمساعي؛ ولعَبِيد أن يستهلَّ الفخر بمُكْنة الحرب، ثمَّ محامد الأخلاق؛

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٨٥، ٨٦، (- قافية اللَّام/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣٧]: أَمِنْ رُسُومٍ نَأْيُهَا نَاحِلُ...).

لتكون الوقفة الأولى إنشاءً باديًا بالنِّداء، متبوعًا بمُؤَكَّد الإخبار، ثمَّ شرطًا متلوًّا بالأمر فالنِّداء؛ على ما في البيتَيْن من مثول النِّداء التَّقاطعيّ، بين استهلال صدر الأوَّل، وختام عجز الثَّاني، ثمَّ يكون للأمر المجَلَّل بالتَّسآل دافع المفاخرة النَّاجزة بوقائع الأمس؛ وفيها هزيمة حُجر وأجناده وفرارهم، ثمَّ اندثارهم تحت وقع ضربات الرِّماح الشَّبيهة بلهب النَّار المشتعلة؛ كما تمَّت الغلبة للقبيلة على "بني عامر" بالسُّيوف الحادَّة النَّاهلة؛ وكان لها الظَّفَر على "غسَّان" بالجيش ذي الغبار الممتدِّ غير المنقطع.

وللبيئة العربيَّة القاسية دورٌ واضحٌ في تأجيج الحروب القبليَّة؛ فلقد "كانت القبيلة في العصر الجاهليّ قوام المجتمع؛ فهو يتألَّف من قبائلَ عدَّةٍ منتشرةٍ في أرجاء الجزيرة العربيَّة؛ وقد دفع مناخها الحارُّ وقسوة طبيعتها كثيرًا من القبائل إلى التَّنقُّل وعدم الاستقرار؛ طلبًا لماءٍ يروي ماشيتها، ومرعًى يطعم سوامها. ولما كان الماء قليلًا، والمرعى شحيحًا؛ نشبت النِّزاعات حولهما، وكثرت الأيَّام والوقائع بسببهما، وجرت الدِّماء دماء أخرى؛ استنادًا إلى قانون الثَّأر، وتكتَّلت القبائل، وتحالفت في مواجهة بعضها بعضًا، وعلى هذه الشَّاكلة عاش الإنسان العربيُّ في المجتمع القبليّ، قبل الإسلام، يصارع قسوة الصَّحراء، ويناضل أعداءه في سبيل البقاء"[1].

(١) الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص١٧، (- الباب الأوَّل: العلاقات الاجتماعيَّة/ - الفصل الأوَّل: العلاقات بين القبائل).

وثمَّة أسبابٌ أخرى لاستعار الحروب بين القبائل؛ من أظهرها: التَّنازع على الشَّرف والرِّياسة، والرَّغبة في السَّلب والإغارة، ورجحان كفَّة أحد الخصمَيْن المتنافرَيْن بين يدي الحكم، ولسان الشَّاعر المعَدِّد مفاخر قبيلته، المتَثلِّب لخصومها، فضلًا عن النُّصرة لقريبٍ وإن كان ظالمًا، والضَّغينة المتَولِّدة عن هزائمَ سابقةٍ[1].

***

(١) يُنظَر: الحياة العربيَّة من الشِّعر الجاهليّ، الحوفيّ، ص١٦٩ – ١٧١، (– الباب الثَّاني: الحياة الاجتماعيَّة من الشِّعر/ – ثانيًا: الصِّلات القبليَّة/ ١ – الحرب/ أ – بواعث الحرب).

الخاتمة

تمظهر التَّنميط الفخريُّ في شعر عَبِيد بالإطارين: الذَّاتيّ، والجمعيّ؛ ليكون الذَّاتيُّ ترسيخًا للسِّياقات: الفروسيَّة، والأخلاقيَّة، والشِّعريَّة؛ وليصدر الجمعيُّ عن انتماءٍ واضحٍ للقبيلة؛ في النِّطاقات: الفروسيَّة، والأخلاقيَّة، والحربيَّة.

أمَّا التَّأسيس الفخريُّ الذَّاتيُّ؛ فكان على نهج الاستجلاء الفروسيّ؛ في الميادين: التَّفاعليَّة، والاجتماعيَّة، والقتاليَّة؛ لتُقدِّم الفخريَّات الشِّعريَّة أنموذجًا للفارس العربيّ الهُمَام، السَّاعي إلى تمثُّل القيم النَّبيلة؛ في سُبُل: تكاثر العطاء والجود، واستنزاف الخصومة المقيتة في مواجهة الأعداء الألدَّاء، والزَّهو بالشَّباب في زمن التَّحفُّز والتَّحرُّر؛ على أنَّ الظُّهور الحيوانيَّ، للنَّاقة الفُضْلى، والفرس المثاليَّة؛ تَكِئَةٌ أخرى لإشباع القصيد بأطروحة الفروسيَّة، مع اعتلاقها الظَّاهر بلوحتي: الرِّحلة، والصَّيد؛ على سبيل التَّخصيب الفنِّيّ لجدب الطَّلل؛ بعد رحيل المرأة والعشيرة في إثر الكلأ والماء.

ويتأتَّى لعَبِيد أن يُؤصِّل للفخر الذَّاتيّ الأخلاقيّ؛ بالخصال الحميدة، والأعمال الفاضلة؛ في مسلكيَّات الحياة، والمخالقات الاجتماعيَّة؛ من خلال الإطارين: الجَوَّانِيّ في محامد القبيلة، والبَرَّانِيّ لفضائل العرب، بما ينسجم مع المنظومة الأخلاقيَّة الجاهليَّة؛ لترسيخ قيم: المجد، والحمد، والسِّيرة الحسنة مع طول العمر، والعفَّة، والكرم، والبرِّ، وصيانة العِرْض، ومجانبة الحرص وذلِّ السُّؤال، مع ارتباط فخريَّات الأخلاق، بتجلِّيات الحكمة؛ في أبواب: معاملة الصَّديق والمتَودِّد، ومغفرة الزَّلَّة، وخيانة الأمانة، وابتلاء النَّاس، والاقتداء

باللَّبيب، ووصل الأقارب، والاستزادة من أبواب الغُنْم، والتَّزوُّد بالعمل الصَّالح؛ على أنَّ الأخير يغدو دافعًا مُجَلَّلًا بالعمل الدَّؤُوب؛ لاستحصاد الخير بمختلف السُّبُل، وفق الحكمة المثْلى بانتفاء الخلود، وللشَّاعر وجهة الإبانة عن مخالقة العدوِّ؛ ضمن ذكاء إدارة العلاقة التَّفاعليَّة؛ في نطاقي: اللِّين، والشِّدَّة؛ ولا يخلو هذا التَّنميط من الفخر الوصفيِّ للتَّوثُّب والتَّأهُّب، في زمن الشَّباب اللَّاهي، المشتمل بالخمر والمرأة.

ويقارب عَبِيد أثر الذَّات في ميدان الأدب؛ من خلال الفخر الشِّعريِّ؛ القائم على تأكيد الأهليَّة الفنِّيَّة؛ في تأسيس البناء، وتدفُّق المضامين، وابتكار المعنى، واسترسال الموسيقا؛ ليكون في أعلى مراتب الجدارة، ضمن المقُول الشِّعريِّ بعامَّةٍ، والقصيد الهجائيِّ بخاصَّةٍ، وقد ظهر الفخر الشِّعريُّ في موطنَيْن اثنَيْن من ديوانه؛ حيث جاء الأوَّل في بؤرة النَّصِّ، لاحقًا للوحة المطر، وسابقًا للَّوحة الأخلاقيَّة، ومرتبطًا بتصوير الماء؛ للتَّأسيس الفنِّيِّ الإخصابيِّ؛ وكان الثَّاني تعويضًا إخصابيًّا فنِّيًّا عن الرَّحيل القبليِّ بعد لوحة الظَّعائن؛ لإظهار المكْنة الحاسمة في باب المنافرة الهجائيَّة، وترسيخ القدرة التَّعبيريَّة في التَّعييب الأخلاقيِّ المؤَدِّي إلى التَّحطيم؛ من خلال الأوابد الشِّعريَّة المصيبة مقاتل الخصوم؛ وهم الأسود الهزيلة في مقابل الأسد الهَصُور.

وإذا ما خلصنا إلى مجمل الشَّواهد الشِّعريَّة، في الفخر الجمعيِّ الفروسيِّ؛ ألفيناها أدنى اعتلاقًا بحالة التَّأمُّل في الأطلال، ونزَّاعةً إلى توصيف الثُّلاثيَّة الفروسيَّة القبليَّة؛ ممثَّلةً في: الإنسان، والحيوان، والعتاد؛ أمَّا الإنسان فكان في صدارة الفعل القتاليِّ النَّاجز بالطِّعان والضِّراب والنِّزال، فضلًا عن الأخلاق

الفروسيَّة المثاليَّة، في حالتي: السِّلم، والحرب؛ وأمَّا الحيوان فكان أنموذج الفارس العربيّ؛ في تجاوز وعورة الصَّحراء؛ وتحقيق الانتصارات؛ لمثاليَّته الجسديَّة والهجوميَّة؛ على ما في أُمثُولة الفرس من مواءمةٍ لمزايا: سرعة العدو، وقُوَّة البناء، ومتانة الجسد؛ بينما يوحي العتاد بالتَّأهُّب الدَّائم للمواجهة؛ ويتجسَّد في هيئة الأدوات المعَدَّة للقتال بإتقانٍ، من سيوفٍ ورماحٍ، نالت دقَّة التَّثقيف؛ فغدت مصيبةً في المقتل، ولدماء الأعداء عَطِشةً ناهلةً، ولعَبِيد في الفخر الفروسيّ الجمعيّ حفاوة الحماية؛ في فعل العون للأحلاف الأوفياء، واستعطاف حُجر لإطلاق سراح السَّادة المتَخلِّقين بالوفاء والكرم.

وتقفز إلى فضاء القصيدة مُحَفِّزات الارتقاء، في النِّطاق الأخلاقيّ المثاليّ؛ المرْتكِز على رصد الملامح الإيجابيَّة؛ في سياقات: الحياة، والإسناد، والحكمة؛ على ما فيها من الخيريَّة القبليَّة الرَّائدة، في أفعال السَّادة والسُّوقَة، بالمحامد الفُضْلى، والقيم الأخلاقيَّة المثاليَّة؛ المبِينة عن التَّعاضد الرُّوحيّ والمجتمعيّ؛ والكائنة في زمني: السَّلام، والحرب، وفي فصلي: الصَّيف، والشِّتاء؛ والموحية بميراث الآباء، في دار العِزّ والمجد والسُّؤدد؛ تلك الَّتي شكَّلت دافع القصيد الشِّعريّ، في استذكار الأخلاق، عقب تأمُّل الأطلال، كما أفضى التَّنميط الأخلاقيُّ إلى تبدِّي المقَدِّمة الفخريَّة في أظهر صورها، واحتكام الشَّاعر في كلِّ الأطر الموقعيَّة إلى إخصاب الطَّلل المِوَات، وتناسي الرَّحيل المرتبط بالشَّدائد؛ بتعزيز حضور قيم: الصَّلاح، والخير، والكرم، والبرِّ، والمروءة، والحِلْم، والسَّداد، والسِّيادة، والحكمة، بالإضافة إلى شموليَّة العطاء الإسناديّ للمُعَصِّب والبائس والعاني؛ بتفريج الكرب، وتسهيل نيل المبتغى، والحماية في

الحروب؛ بفضل العقول الرَّاجحة، والرَّأي السَّديد، والفروسيَّة المتَفرِّدة، مع احترام الميثاق، وحفظ العهد.

وسعى الشَّاعر لتكريس التَّنميط الفخريّ الجمعيّ، في سياق الحرب؛ لتأريخ الانتصارات في أيَّام العرب الحاسمة، ضمن حروب السَّيطرة والنُّفوذ، بين الكيانات القبليَّة، في العهد الجاهليّ؛ لغاية إبراز كثرة العدد، وتميُّز الفروسيَّة، وتفوُّق العتاد؛ ممَّا مكَّن القبيلة من حيازة السِّيادة الرِّياديَّة؛ لتكون التَّبعيَّة لها دون غيرها، وتنصرف التَّحالفات لقُوَّتها النَّافذة، وقد لحق القهر المعنويُّ فالجسديُّ، بالسَّادة والمسُودِين؛ في أيَّام: "الجِفار" ضدّ "بني دارم"، و"النِّسار" مقابل "بني عامر"، و"المِرَار" في مواجهة "غسَّان"، فضلًا عن يوم "الرَّباب"، الَّذي ظلَّ صداه حاضًرا في الشِّعر؛ لتوثيق مقتل: "الأجدلَيْن"، و"مالكٍ"، و"مُرَّة الخير"، و"قُرْصٍ"، و"الحُجر"، بالإضافة إلى مقتلتي: "تميم"، و"هَوازن"؛ والبادي في الفخريَّات الحربيَّة جميعها ترسيخ نمطي: التَّوثيق الحدثيّ للقتال، والتَّهديد الاستباقيّ لمُرْتَقب العَدَاء؛ وبدا امرؤ القيس حاضرًا في ماثل التَّهديد والوعيد؛ وقد عجز عن نيل ثأره؛ وهو اللَّاهي الطَّريد؛ مع احتشاد الصُّورة اللَّوحيَّة بمُؤَشِّرات: تفوُّق العدد، وتمام العدَّة؛ بخير الجياد، والجيش الأسود اللُّهَام؛ على أنَّ الصُّورة الشِّعريَّة البلاغيَّة، في حفاوة المبالغة؛ قد انتزعت من البيئة مُعِينات الحسم المثاليّ، لسُمُوِّ الفخر؛ بالفرس الشَّبيهة بالقطا، والسُّيوف والرِّماح النَّاهلة من أجساد الأعداء تارةً، والمشتعلة فيها أخرى.

وممَّا يلفت الانتباه في الفخريَّات؛ ارتباطها بأطر: الطَّلل، والظَّعن، والمرأة، ولا سيَّما في الفخر الذَّاتيّ بالفروسيَّة، والفخر الجمعيّ بالأخلاق، مع قلَّة القصائد الَّتي خلت من الأقطاب المضمونيَّة السَّابقة؛ ممَّا أفسح المجال فيها لبروز مُقدِّمتي: الفخر؛ في الفخر بفروسيَّة الجماعة القبليَّة، والتَّهديد؛ ضمن الفخر الجمعيّ الحربيّ.

ثمَّ إنَّنا رصدنا حضورًا جليًّا للفخر بنمطَيْه: الظَّاهر، والمبَطَّن، ضمن حالة الفخر بالذَّات؛ ليتأتَّى مثول المبَطَّن باستبطان القيم المثاليَّة؛ في لوحات: الرِّحلة بالنَّاقة أو بالفرس، والصَّيد، ولهو الشَّباب المشتمل بالخمر والمرأة.

ويمكن، في فضاء المدارسات السَّابقة كلِّها، استكناه الأسلوب الشِّعريّ بعمومه، في مختلف المباني الفخريَّة؛ بتمكين غلبة الإخبار الاسميّ الرَّاسخ والفعليّ المتَحفِّز، على الإنشاء الطَّلبيّ الماثل في سياقاتٍ محدودةٍ جدًّا؛ لامست نطاقات: النِّداء، والأمر، والنَّهي، بما يتَّصل مع السِّياق التَّهديديّ الاستباقيّ؛ على أنَّ الفخريَّات الشِّعريَّة كرَّست أصوليَّة قيم: التَّأريخ، والاجتماع، والأخلاق، والفنّ، والحكمة، في العصر الجاهليّ، على صعيدي: الرَّاسخ المعهود، والممجوج المطروح.

ثَبَتُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ وَالأَبْحَاثِ الْمَنْشُورَةِ وَالرَّسَائِلِ وَالأَطَارِيحِ الْجَامِعِيَّةِ:

- أَوَّلًا: ثَبَتُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ:

١ - الأدب الجاهليّ، د. سامي يوسف أبو زيد، د. منذر ذيب كفافيّ، دار المسيرة للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، عمَّان، (ط١)، (٢٠١١م).

٢ - الأدب الجاهليّ؛ قضاياه - أغراضه - أعلامه - فنونه، د. غازي طليمات، أ. عرفان الأشقر، مكتبة الإيمان، دمشق، ومكتبة دار الإرشاد، حمص، (ط١)، (شباط/ ١٩٩٢م).

٣ - الأدب الجاهليّ؛ قضايا، وفنون، ونصوص، أ. د. حسني عبد الجليل يوسف، مُؤسَّسة المختار للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، (ط١)، (٢٠٠١م).

٤ - الأدب العربيّ وتاريخه في العصر الجاهليّ، محمَّد هاشم عطيَّة، (ت١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده، القاهرة، (ط٣)، (١٩٣٦م).

٥ - الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرِّجال والنِّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدِّين الزِّرِكْليّ، (ت١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، (ط١٥)، (أيَّار، مايو/ ٢٠٠٢م).

٦ - الانتماء في الشِّعر الجاهليّ، د. فاروق أحمد اسليم، اتِّحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، (د. ط)، (١٩٩٨م).

٧ - الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، د. عبد الغنيّ أحمد زيتونيّ، مركز زايد للتُّراث والتَّاريخ، العين، (ط١)، (٢٠٠١م).

٨ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد مرتضى الزَّبيديّ، (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تح: عبد العليم الطَّحاويّ، وزارة الإعلام الكويتيَّة، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د. ط)، (١٩٧٤م).

٩ - تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرَّافعيّ، (ت١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)، مكتبة الإيمان، المنصورة، (ط١)، (١٩٩٧م).

١٠ – تاريخ آداب اللُّغة العربيَّة، جرجي زيدان، (ت١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، طبعة جديدة راجعها وعلَّق عليها: د. شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
١١ – تاريخ الأدب العربيّ، أحمد حسن الزَّيَّات، (ت١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، دار نهضة مصر للطَّبع والنَّشر، القاهرة، (ط٢)، (١٩٨١م).
١٢ – تاريخ الأدب العربيّ؛ العصر الجاهليّ، د. أحمد شوقي عبد السَّلام ضيف، (ت١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، دار المعارف، القاهرة، (ط١١)، (١٩٨٦م).
١٣ – تطوُّر الصُّورة في الشِّعر الجاهليّ، د. خالد محمَّد الزَّواويّ، مُؤسَّسة حورس الدَّوليَّة للنَّشر والتَّوزيع، الإسكندريَّة، (د. ط)، (٢٠٠٥م).
١٤ – الجامع في تاريخ الأدب العربيّ؛ الأدب القديم، حنَّا الفاخوريّ، (ت٢٠١١م)، دار الجيل للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، بيروت، (ط١)، (١٩٨٦م).
١٥ – جدليَّة القيم في الشِّعر الجاهليّ؛ رؤية نقديَّة معاصرة، أ. د. بوجمعة بوبعيو، اتِّحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، (د. ط)، (٢٠٠١م).
١٦ – الجود والبخل في الشِّعر الجاهليّ، د. محمَّد فؤاد نعناع، دار طلاس للدِّراسات والتَّرجمة والنَّشر، دمشق، (ط١)، (١٩٩٤م).
١٧ – الحياة العربيَّة من الشِّعر الجاهليّ، د. أحمد محمَّد الحوفيّ، (ت١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، (ط٢)، (١٩٥٢م).
١٨ – ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ، (ت٢٥ ق. هـ/ ٦٠٠م)، تح: د. عمر فاروق الطَّبَّاع، دار القلم للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، (د. ط)، (١٩٩٤م).
١٩ – الشِّعر الجاهليّ؛ خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوريّ، مُؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، (ط٥)، (١٩٨٦م).
٢٠ – الشِّعر الجاهليّ؛ منهج في دراسته وتقويمه، د. محمَّد النُّويهيّ، (ت١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، الدَّار القوميَّة للطِّباعة والنَّشر، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

٢١ – الشِّعر والشُّعراء، لأبي محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوريّ، (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، تح: أحمد محمَّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (د. ط)، (١٩٨٢م).
٢٢ – الصِّحاح؛ تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، لأبي نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ، (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)، تح: محمَّد زكريَّا يوسف، دار العلم للملايين، بيروت، (ط٤)، (١٩٩٠م).
٢٣ – طبقات فحول الشُّعراء، لأبي عبد الله محمَّد بن سلَّام بن عبيد الله الجمحيّ، (ت٢٣١هـ/ ٨٤٦م)، تح: محمود محمَّد شاكر، دار المدنيّ، جدَّة، ومطبعة المدنيّ، القاهرة، (د. ط)، (١٩٧٤م).
٢٤ – العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، د. محمَّد صبري الأشتر، مديريَّة الكتب والمطبوعات الجامعيَّة، جامعة حلب، حلب، (د. ط)، (١٩٩٤/ ١٩٩٥م).
٢٥ – العُمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده، لأبي عليّ الحسن بن رشيق القيروانيّ، (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، تح: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، دار الجيل للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، بيروت، (ط٥)، (١٩٨١م).
٢٦ – عيار الشِّعر، لأبي الحسن محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم طَبَاطَبَا العلويّ، (ت٣٢٢هـ/ ٩٣٤م)، تح: عبَّاس عبد السَّاتر، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (ط٢)، (٢٠٠٥م).
٢٧ – الفخر في الشِّعر العربيِّ، سراج الدِّين محمَّد، دار الرَّاتب الجامعيَّة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
٢٨ – الفروسيَّة في الشِّعر الجاهليِّ، د. نوري حمُّودي القيسيّ، دار التَّضامن، بغداد، (ط١)، (١٩٦٤م).
٢٩ – القاموس المحيط، مجد الدِّين محمَّد بن يعقوب الفيروزآباديّ، (ت٨١٧هـ/ ١٤١٥م)، دار الحديث، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
٣٠ – قصَّة الأدب العربيِّ، د. خالد يوسف، مُؤسَّسة الرِّحاب الحديثة، بيروت، (د. ط)، (٢٠١١م).

٣١ – لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدِّين محمَّد بن مكرم بن عليّ بن منظور، (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، دار صادر، بيروت، (ط١)، (د. ت).
٣٢ – المصطلح النَّقديّ في التُّراث الأدبيّ العربيِّ، محمَّد عزَّام، دار الشَّرق العربيّ، بيروت وحلب، (ط١)، (د. ت).
٣٣ – المعجم الأدبيّ، جَبُّور عبد النُّور، دار العلم للملايين، بيروت، (ط٢)، (كانون الثَّاني، يناير/ ١٩٨٤م).
٣٤ – المعجم الأدبيّ، نوَّاف نصَّار، دار ورد للنَّشر والتَّوزيع، عمَّان، (ط١)، (٢٠٠٧م).
٣٥ – معجم المصطلحات الأدبيَّة المعاصرة؛ (عرض وتقديم وترجمة)، د. سعيد علُّوش، دار الكتاب اللُّبنانيّ، بيروت، وسوشبريس، الدَّار البيضاء، (ط١)، (١٩٨٥م).
٣٦ – معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، (ط٢)، (١٩٨٤م).
٣٧ – المعجم المفَصَّل في الأدب، د. محمَّد التُّونجيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (ط٢)، (١٩٩٩م).
٣٨ – معجم مقاييس اللُّغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريَّاء القزوينيّ الرَّازيّ، (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، تح: عبد السَّلام هارون، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (١٩٧٩م).
٣٩ – المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس مع آخرين، (ت١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، دار المعارف، القاهرة، (ط٢)، (١٩٧٢م).
٤٠ – الوسيط في الأدب العربيّ وتاريخه، الشَّيخ أحمد الإسكندريّ، (ت١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، الشَّيخ مصطفى العنانيّ، (ت١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م)، حقوق الطَّبع محفوظة للمُؤَلِّفَيْن، القاهرة، (ط١)، (١٩١٩م).

– ثانيًا: ثَبَتُ الأَبْحَاثِ الْمَنْشُورَةِ:

١ – دلالات الوحدة في قصيدة الصَّيد الجاهليَّة، عصام محمَّد المشهراويّ، مجلَّة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانيَّة، غزَّة، فلسطين، (مج: ١٢)، (ع: ٢)، (٢٠١٠م)، ص١١٣ – ١٣٤.

٢ – عَبِيد بن الأَبْرَص؛ ديوانه والمستدرك عليه، د. محمَّد عليّ دقَّة، مجلَّة مجمع اللُّغة العربيَّة، دمشق، سوريا، (مج: ٧٢)، (ج: ٣)، (١٩٩٧م)، ص٥٢٧ – ٥٥٠.

٣ – الفرد والجماعة في الشِّعر الجاهليّ، د. عبد المجيد زَراقط، مجلَّة الفكر العربيّ، معهد الإنماء العربيّ، بيروت، لبنان، (ع: ٥٤)، (كانون الأوَّل، ديسمبر/ ١٩٨٨م)، ص٦٨ – ٨٦.

٤ – مُجَمْهَرة عَبِيد بن الأَبْرَص؛ دراسة نقديَّة بلاغيَّة، د. أحمد سعد عبد الرَّازق ناجي، مجلَّة كُلِّيَّة اللُّغة العربيَّة، جامعة الأزهر، إيتاي البارود، البحيرة، مصر، (مج: ٢٣)، (ع: ٢)، (٢٠٠٨م)، ص١ – ٢٠٨.

٥ – مُجَمْهَرة عَبِيد بن الأَبْرَص في الميزان الشِّعريّ/ الموسيقيّ، د. عبد الحميد حمام، مجلَّة كُلِّيَّة الآداب، جامعة الملك سعود، الرِّياض، السُّعوديَّة، (مج: ٣)، (ع: ٢)، (١٩٩١م)، ص٣٤٥ – ٣٨٢.

٦ – الهامة والصَّدى؛ صدى الرُّوح في الشِّعر الجاهليّ، أ. د. إحسان الدِّيك، مجلَّة جامعة النَّجاح للأبحاث، العلوم الإنسانيَّة، نابلس، فلسطين، (مج: ١٣)، (ع: ٢)، (١٩٩٩م)، ص٦٢٦ – ٦٧٩.

– ثالثًا: ثَبَتُ الرَّسَائِلِ وَالأَطَارِيحِ الْجَامِعِيَّةِ:

١ – الإيقاع وعلاقته بالدَّلالة في الشِّعر الجاهليّ، أحمد حسانيّ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، إشراف: أ. د. طاهر حجَّار، جامعة الجزائر، الجزائر، (٢٠٠٥/ ٢٠٠٦م).

٢ – شعر الفخر عند الشُّعراء الفرسان في العصر الجاهليّ؛ دراسة تحليليَّة، حنان أحمد جاد الله الحتاملة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: د. إبراهيم السّنجلاويّ، جامعة اليرموك، إربد، (١٩٩٤م).

٣ – شعر الفخر والحماسة في صدر الإسلام؛ دراسة نقديَّة تحليليَّة، عندليب يوسف اسمندر، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: أ. د. سمر الدّيوب، جامعة البعث، حمص، (٢٠١٠/ ٢٠١١م).

٤ – الصُّورة الفنِّيَّة في شعر عَبِيد بن الأَبْرَص، عامر سمار الرّشيديّ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: أ. د. خليل الرّفوع، جامعة مؤتة، الكرك، (٢٠١٠م).

٥ – الفخر في الشِّعر الجاهليِّ؛ "الفخر بين عنترة بن شدَّاد وعمرو بن كلثوم"؛ دراسة موازنة، نوال حدو، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: أ. د. رضوان النَّجَّار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (٢٠١٠/ ٢٠١١م).

٦ – مظاهر البداوة وصورها في الشِّعر الجاهليِّ، أحمد اسبيتان الشَّواورة، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، إشراف: أ. د. خليل الرّفوع، جامعة مؤتة، الكرك، (٢٠١٥م).

***

- List of References, Published Papers, and University Theses and Dissertations:

- **First: List of References:**

1. Al-Adab Al-Jahili, Dr. Sami Yusuf Abu Zaid, Dr. Munther Theeb Kafafi, Dar Al-Maseerah for Publishing, Distribution and Printing, Amman, (^{t} ed.), (AD 2011).
2. Al-Adab Al-Jahili, Qadayah, A'lamuh, wa Funoonoh, Dr. Ghazi Tulaymat, Irfan Al-Ashqar, Al-Eman Bookstore, Damascus, Irshad Publishing House, Homs, (1st ed.), (Feb. AD 1992).
3. Al-Adab Al-Jahili, Qadaya, wa Funoon, wa Nusoos, Prof. Husni Abd-Jalil Yusuf, Al-Mukhtar Establishment for Publishing & Distributing, Cairo, (1st ed.), (AD 2001).
4. Al-Adab Al-Arabi wa Tareekhoh fi Al-'Asr Al-Jahili, Mohammad Hashim Attiya, (d. AD 1953/ AH 1373), Mustafa Al-Babi Al-Halabi & Sons Press, Cairo, (3rd ed.), (AD 1936).
5. Al-A'alām Dictionary; Translations of The Most Famous Men and Women of The Arabs, Orientals and Easterners, Khair Al-Deen Al-Zirikli, (d. AD 1976/ AH 1396), Dar El Ilm Lilmalayin, Beirut, (15th ed.), (May. AD 2002).
6. Al'entima' fi Al-Sh'er Al-Jahili, Dr. Farouq Ahmad Esleem, Arab Writers Union, Damascus, (n.ed.), (AD 1998).
7. Al-Ensan fi Al-Sh'er Al-Jahili, Dr. Abd Al-Ghani Ahmad Zaytooni, Zayed Centre for Heritage and History, Al-Ain, (1st ed.), (AD 2001).
8. Taj Al-Arus min Jawahir Al-Qamus, Mohammad Murtada Al-Zubaidi, (d. AH 1205/ AD 1790), edited by: Abd Al-Alim Al-Tahawi, Ministry Of Information at Kuwait, Government of Kuwait Press, Kuwait, (n.ed.), (AD 1974).
9. Tareekh Adaab Al-Arab, Mustafa Sadeq Alrafie'i, (d. AD 1937/ AH 1356), Al-Iman Bookstore, Mansourah, (1st ed.), (AD 1997).
10. Tareekh Adaab Allugha Al-Arabeyya, George Zaidan, (d. AD 1914/ AH 1332), New Edition Revised and Commented on by: Dr. Shawqy Daif, Dar Al-Hilal Bookstore, Cairo, (n.ed.), (n.d.).
11. Tareekh Al-Adab Al-Arabi, Ahmad Hasan Al-Zayyat, (d. AD 1968/ AH 1388), Nahdat Misr Publishing House, Cairo, (2nd ed.), (AD 1981).
12. Tareekh Al-Adab Al-Arabi; Al-'Asr Al-Jahili, Dr. Ahmad Shawqy Abd Al-Salam Daif, (d. AD 2005/ AH 1426), Dar Al-Ma'aref, Cairo, (1h ed.), (AD 1986).

13. Tattawur Al-Soura fi Al-Sh'er Al-Jahili, Dr. Khaled Muhammad Al-Zawawi, Horus Foundation for Distribution & Publishing, Alexandria, (n.ed.), (AD 2005).
14. Al-Jame' fi Tareekh Al-Adab Al-Arabi; Al-Adab Al-Qadeem, Hanna Fakhury, (d. AD 2011), Dar Al-Jeel for Publication, Distribution and Printing, Beirut, (1st ed.), (AD 1986).
15. Jadalyyat Al-Qeiam fi Al-Sh'er Al-Jahili; Ru'ya Naqdeyya Mu'asera, Dr. Bu-juma'a Bu-ba'yyo, Ittihad Al-Kuttab Al-Arab, Damascus, (n.ed.), (AD 2001).
16. Al-Juud wa Al-Bukhl fi Al-Sh'er Al-Jahili, Dr. Muhammad Fuad Na'na', Dar Tlass for Research, Translation & Distribution, Damascus, (1st ed.), (AD 1994).
17. Al-Haya Al-Arabeyya min Al-She'r Al-Jahili, Dr. Ahmad Muhammad Al-Hufy, (d. AD 1983/ AH 1403), Nahdat Misr Library & Printing Bookstore, Cairo, (2nd ed.), (AD 1952).
18. Dewan Abid Ben Al-Abras, Abid Ben Al-Abras Al-Asadi, (d. AD 600/ BH 25), updated by: Dr. Umar Faruq Al-Tabb'a, Dar Al-Qalam for Printing, Distributing & Publishing, Beirut, (n.ed.), (AD 1994).
19. Al-She'r Al-Jahili; Khasaesuhu wa Funuonuh, Dr. Yahya Al-Jabburi, Resalah Foundation, Beirut, (h ed.), (AD 1986).
20. Al-Sh'er Al-Jahili; Mnhaj fi Derasatihi wa Taqwemeh, Dr. Muhammad Al-Nuwaihi, (d. AD 1980/ AH 1400), National House for Printing & Distribution, Cairo, (n.ed.), (n.d.).
21. Al-Sh'er wa Al-Shua'ra', Abu Muhammad Abdullah Ben Muslem Ben Qutaiba Al-Dinury, (d. AD 889/ AH 276), updated by: Ahmad Muhammad Shaker, Dar Al-Ma'aref, Cairo, (n.ed.), (AD 1982).
22. Al-Sehah; Taj Allugha wa Sehah Al-Arabeyya, Abu Nasr Ismael Ben Hammad Al-Jawhari, (d. AD 1003/ AH 393), updated by: Muhammad Zakareyya Yusuf, Dar Al-Ilm Lilmalayeen, Beirut, (4th ed.), (AD 1990).
23. Tabakat Fuhoul Al-Shu'ara, Abu Abd-Allah Ben Muhammad Ben Sallam Ben Ubaid-Allah Al-Jumahi, (d. AD 846/ AH 231), updated by: Mahmoud Muhammad Shaker, Dar Al-Madani, Jeddah, & Al-Madani Printing Press, Cairo, (n.ed.), (AD 1974).
24. Al-'Asr Al-Jahili; Al-Adab wa Al-Nusuos - Al-Mu'alaqat, Dr. Muhammad Sabri Al-Ashtar, Mudeeryat Al-Kutub wa Al-Matboua't Al-Jamie'ya, Aleppo University, Aleppo, (n.ed.), (AD 1994/1995).

25.Al-Umda fi Mahasen Al-Sh'er wa Adaabehi wa Naqdeh, Abu Ali Al-Hasan Ben Rasheeq Al-Qayrawani, (d. AD 1063/ AH 456), updated by: Muhammad Muhyi Al-Deen Abd Al-hameed, Dar Al-Jeel for Publishing Printing & Distribution, Beirut, (h ed.), (AD 1981).
26.Ayyar Al-Sh'er, Abu Al-Hasan Muhammad Ben Ahmad Ben Ibrahim Tabatba Al-Alawi, (d. AD 934/ AH 322), updated by: Abbas Abd Al-Sater, revised by: Na'im Za'rzur, Dar Al-kutub Al-Ilmeyya, Beirut, (d ed.), (AD 2005).
27.Al-Fhakhr fi Al-Sh'er Al-Arabi, Siraj Al-Deen Muhammad, Dar Al-Rateb Al-Jame'ya, Beirut, (n.ed.), (n.d.).
28.Al-Furuseyya fi Al-Sh'er Al-Jahili, Dr. Nuri Hammudi Al-Qaisi, Dar Al-Tadamun, Baghdad, (t ed.), (AD 1964).
29.Al-Qamous Al-Muheet, Majd Al-Deen Muhammad Ben Ya'qub Al-Fayruzabadi, (d. AD 1415/ AH 817), Dar Al-Hadith, Cairo, (n.ed.), (n.d.).
30.Qissat Al-Adab Al-Arabi, Dr. Khaled Yusuf, Al-Rihab Al-Hadeethah Establishment, Beirut, (n.ed.), (AD 2011).
31.Lisan Al-Arab, Abu Al-Fadl Jamal Al-Deen Muhammad Ben Mukarram Ben Ali Ben Manzour, (d. AD 1311/ AH 711), Dar Sader, Beirut, (t ed.), (n.d.).
32.Al-Mustalah Al-Naqdi fi Al-Turath Al-Adabi Al-Arabi, Muhammad Azzam, Dar Al-Sharq Al-Arabi, Beirut & Aleppo, (t ed.), (n.d.).
33.Al-Mu'jam Al-Adabi, Jabbur Abd Al-Noor, Dar Al-Ilm Lilmalayeen, Beirut, (d ed.), (Jan. AD 1984).
34.Al-Mu'jam Al-Adabi, Nawwaf Nassar, Ward House for Publishing and Distribution, Amman, (t ed.), (AD 2007).
35.Mu'jam Al-Mustalahat Al-Adabeyya Al-Mu'asera; (Presented, Forwarded and Translated), Dr. Sa'ed Alloush, Dar Al-Kitab Al-Lubnani, Beirut, & Sushpress, Casablanca, (1st ed.), (AD 1985).
36.Mu'jam Al-Mustalahat Al-Arabeyya fi Al-Lugha wa Al-Adab, Majdi Wahbeh, Kamel Al-Muhandes, Maktabat Lubnan, Beirut, (d ed.), (AD 1984).
37.Al-Mu'jam Al-Mufassal fi Al-Adab, Dr. Muhammad Al-Tunji, Dar Al-Kutub Al-Ilmeyya, Beirut, (d ed.), (AD 1999).
38.Mu'jam Maqayees Al-Lugha, Abu Al-Husain Ahmad Ben Fares Ben Zakareyya Al-Qazwini Al-Razi, (d. AD 1004/ AH 395), updated by: Abd Al-Salam Haroun, Dar Al-Fikr, Beirut, (n.ed.), (AD 1979).
39.Al-Mu'jam Al-Waseet, Dr. Ibrahim Anees & others, (d. AD 1977/ AH 1397), Dar Al-Ma'aref, Cairo, (d ed.), (AD 1972).

40.Al-Waseet fi Al-Adab Al-Arabi wa Tareekheh, Al-Sheikh Ahmad Al-Iskandari, (d. AD 1938/ AH 1357), Al-Sheikh Mustafa Al-Anani, (d. AD 1943/ AH 1362), Copyrights Reserved to The Authors, Cairo, (1st ed.), (AD 1919).

- Second: List of Published Researches:

1. Dalalat Al-Wihda fi Qaseedat Al-Sayd Al-Jahilyya, Isam Muhammad Al-Mashharawi, Al-Azhar University Magazine, Humanities Series, Gazza, Palestine, (vol. 12), (issue no. 2), (AD 2010), pages: 113 - 134.
2. Abid Ben Al-Abras; Deewanuhu wa Al-Mustadrak Alayhi, Dr. Muhammad Ali Daqa, The Journal of The Arabic Language Academy, Damascus, Syria, (vol. 72), (AD 1997), pages: 527 - 550.
3. Al-Fard wa Al-Jama'ah fi Al-Sh'er Al-Jahili, Dr. Abd Al-Majeed Zaraqet, Al-Fikr Al-Arabi Magazine, Arab Development Institute, Beirut, Lebanon, (issue no. 54), (Dec. AD 1988), pages: 68 - 86.
4. Mujamharat Abid Ben Al-Abras; Derasa Nqdeyya Balagheyya, Dr. Ahmad Sa'ed Abd Al-Razeq Naji, Arab Faculty Magazine, Al-Azhar University, Itai Al-Baroud, Al-Buhayrah, Egypt, (vol. 23), (issue no. 2), (AD 2008), pages: 1 - 208.
5. Mujamharat Abid Ben Al-Abras fi Al-Mizan Al-Sh'eri / Al-Museeqi, Dr. Abd Al-Hameed Hamam, Journal of The College of Arts, King Sa'ud University, Saudi Arabia, (vol. 3), (issue no. 2), (AD 1991), pages: 345 - 382.
6. Al-Hamatu wa Al-Sada; Sada Al-Ruuh fi Al-Sh'er Al-Jahili, Prof. Ihsan Al-Deek, Al-Najah University Journal for Research, Humanities, Nablus, Palestine, (vol. 13), (issue No. 2), (AD 1999), pages: 626 - 679.

- Third: List of University Thesis and Dissertations:

1. Al-Eqaa' wa A'laqatuhu bi Al-Dalalah fi Al-Sh'er Al-Jahili, Ahmad Hassani, (unpublished PhD thesis), under the supervision of Prof. Taher Hajjar, Al-Jazaer University, Algeria, (AD 2005/2006).
2. Sh'er Al-Fakhr E'nd Al-Sh'uraa Al-Fursan fi Al-'Asr Al-Jahili; Derasah Tahlilyya, Hanan Ahmad Jad-Allah Al-Hatamleh, (unpublished master's thesis), under the supervision of Dr. Ibraheem Al-Sanjalawi, Yarmouk University, Irbid, (AD 1994).

3. Sh’er Al-Fakhr wa Al-Hamasa fi Sadr Al-Islam; Derasah Naqdiyya Tahlilyya, Andaleeb Yusuf Ismandar, (unpublished master's thesis), under the supervision of Prof. Samar Al-Dayyub, Al-Ba’th University, Homs, (AD 2010/2011).
4. Al-Sura Al-Fanneyya fi Sh’er Abid Ben Al-Abras, Amer Smaar Al-Rasheedi, (unpublished master’s thesis), under the supervision of Prof. Khaleel Al-Rafuu’, Mutah University, Karak, (AD 2010).
5. Al-Fakhr fi Al-Sh’er Al-Jahili; “Al-Fakhr Baina Antara Ben Shaddad wa Amr Ben Kultuum”; An Equilibrium Study, Nawal Haddo, (unpublished master’s thesis), under the supervision of Prof. Radwan Al-Najjar, Abu Bakr Bulqayed University, Tilmisan, (AD 2010/2011).
6. Mathaher Al-Badawa wa Suwaruha fi Al-Sh’er Al-Jahili, Ahmad Isbeetan Al-Shawawra, (unpublished PhD. thesis), under the supervision of Prof. Khaleel Al-Rafuu’, Mutah University, Karak, (AD 2015).

***